الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليـم العالي والبحث العلمـي
جامعـة عبد الحميـد بن باديس - مستغانم-
كلية الأدب العربي والفنون
قسـم الأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص : أدب قديم فرع: دراسات أدبية

تحت عنوان

النّزعة الاجتماعيّة عند ابن الرّومي
قصيدة " الحمّال " أنموذجًا

إعداد الطالبين

- لعرجـاني علـي
- حمادوش نورية

إشراف الأستاذ

د - معمر عبد الله

أعضاء لجنة المناقشة

- .....رئيسا
- د/ معمر عبد الله.....مشرفا
- .....مناقشا

السنة الجامعية: 1440-1441 هـ
2018-2019 م

الإهداء

أهـــدي هذه الثّمرة العلميّـــة والعمل المتواضع

إلـــى الوالدين

وفاءً وعرفانًا

ثمّ إلى إخوتي في القرابة وفي الديـن،

وإلـــى أصـــــدقـــائي وزمـــلائـــي،

وإلـــى كـــل طـــالب علـــم وأدب.

كلمة شكر

اتقدم بجزيل الشكر والعرفان والتقدير إلى كل ما ساهم في اخراج هذا العمل الأدبي المتواضع خاصة استاذي المشرف " معمر عبد الله"

كما لا يفوتني أن أقدم جزيل الشكر إلى أساتذة لجنة المناقشة على ما سيبذلونه من جهد في قراءة هذه المذكرة وتقويمها وأسأل الله لهم أن يكرمهم ويجزيهم خير جزاء.

والله ولي التوفيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28)﴾

سورة طه: (25...28)

﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69)﴾

سورة الكهف: (69)

مقدمة

مقدمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم و الصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين وبعد :

في عالم الشّعر شعراء رصّعوا مقامهم بين الكبار، فصاروا شخصيّات مقدّسة، لكنها تفاوتت في حظها من المجد والشهرة، وتباينت في سرّ بقائها خالدة في تاريخ الأدب العربي، ونحن اليوم على موعد مع شهادة رجل له في الوصف والهجاء باع، شاعر من طراز فريد وتأثير فريد، لم ينتفع في حياته بشعره، وتقاطرت عليه الأحزان والهموم؛ فجادت قريحته بما اعتمل في نفسه من المعاني المعبرة رثاءً وهجاءً، وصفًا ومدحًا وشكوى واستجداء، ومات مسمومًا خشية لسانه الفتاك؛ إنه ابن الرومي.

ويضيق الخناق على المرء في بعض مراحل حياته، وقد يُسلِمه اليأس إلى الغرق في الصمت أو الصراخ حد الضجيج، لكن ابن الرومي اختار سبيلًا مغايرًا، وسلك طريقًا شقه لنفسه وشنق به نفسه.

رثى ابن الرومي ابنه رثاءً حارًا أبكى به الصخر من حوله، كما يُعرف عنه هجاؤه المرير لمعارضيه، وقد ابتكر في هجائه صورًا غير معهودة في زمانه، وكان آية من آيات الله في التشاؤم، وعاش حياة مريرة بكل ما تحمله الكلمة من معان.

ونحن اليوم سنجوب حيّز حياته ـ على الخصوص ـ الاجتماعيّة في العصر العبّاسيّ، وعليه اخترت أن استكشف حيثيات وخبايا حياته تحت عنوان: النّزعة الاجتماعيّة عند ابن الرّوميّ، قصيدة الحمّال أنموذجًا. ولذلك قسمت بحثي إلى مدخل وفصلين وخاتمة تتصدرهم مقدمة. أمّا المدخل فقسّمته إلى مبحثين، يتناول الأول منها ابن الرّوميّ ثمّ فصّلت ذلك إلى أربع مطالب وفيها تفصيل عن سيرة وديوانه، أمّا المبحث الثّاني فيتناول عصر ابن الرومي، وفيه ثلاث مطالب للحياة السياسية والاجتماعية والفكرية.

أما الفصل الأول في هذه الدراسة فقد جاء بعنوان الشّعر والنّزعة الاجتماعيّة في ديوان ابن الرّوميّ، وفيه ثلاث مباحث حيث تناولت في الأول: الصّيّاغة الشّعريّة عند ابن الرّوميّ: و فيه أربع مطالب الأول تحت عنوان الشعر، والثاني تحت عنوان: مفهوم الشعر عند النقاد العرب القدماء، والثّالث تحت عنوان: الإبداع الشّعريّ ووظيفته، والرابع تحت عنوان: تركيبة شعر ابن الرومي معنًى وشكلًا.

أمّا المبحث الثاني فعنوانه النّزعة الاجتماعيّة وابن الرّوميّ، وفيه مطلبان، الأوّل منه: تعريف النّزعة الاجتماعيّة. والثّاني النّزعة الاجتماعيّة عند ابن الرّوميّ.

وتناولت في المبحث الثالث: الأغراض الشّعريّة عند ابن الرّوميّ، وفيه خمس مطالب الأول تحت عنوان: الحياة الاجتماعيّة والأغراض، والثاني تحت عنوان: الوصف والمدح، والثّالث الهجاء والرابع الرثاء والخامس الغزل.

وأما الفصل الثاني بعنوان " المجتمع العبّاسيّ برؤى ابن الرّوميّ " في هذه الدراسة والذي اعتمدت فيه على الدراسة التطبيقية للقصيدة التي اخترتها كنموذج، جاء بعنوان "الحمّال"، و فيه مبحثان حيث تناولت في الأول: النّزعة الاجتماعيّة عند ابن الرّوميّ، وفيه مطلبين، الأوّل بعنوان الطبقية والثاني تحليل قصيدة "الحمّال"

أما منهج البحث في هذه الدراسة هو المنهج التحليلي الوصفي، و قد اعتمدت على جملة من المصادر و المراجع اذكر من أهمها : ديوان ابن الرومي، شرح أ/أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ - 1994م. وكتاب شوقي ضيف : الفن ومذاهبة في الشعر العربي، وكتاب د/ ركان الصدفي – ابن الرومي الشاعر المجدد – مطابع وزارة الثقافة الهيئة السورية للكتاب – ط1

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

ما دفعني إلى هذه الدراسة هو حبي للأدب العربي لا سيما الأدب العباسي ، وسبب آخر هو رغبتي الملِّحة في التعرف على المجتمع العباسي ذلك المجتمع الذي انفتح على العالم، فتغيرت الحياة فيه فأصابها النعيم والترف، ومما لا شك فيه إن للأدب دورًا هامًا ومؤثرًا في بناء المجتمع وتوجيهه.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى تصوير المجتمع العباسي في عصره الثاني من خلال شعر ابن الرومي، هذا فضلا عن الهدف الأساسي وهو الوقوف على أسرار اللغة العربية ومعرفة جميع خفاياها ولا سيما في ذلك العصر الذي امتزجت فيه الحضارات وتلاقت فيه جميع الثقافات.

ومن العوائق التي واجهتني هي قلة الكتب التي تتناول القصيدة التي اعتمدها كنموذج تطبيقي في بحثي.

وفي الأخير لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى استاذي المشرف، على إسهامه في وضع خطة هذا البحث وتشجيعي للمضي قدما فيه، جزاه الله خير الجزاء.

والله أسأل أن يوفقنا لما يحبه و يرضاه إنّه نعم المولى و نعم النصير.

مـــدخـــل

المدخـــــــل: ابن الرّوميّ وعصره

❖ المبحث الأول : ابن الرّوميّ سيرة وفنّ

- ❖ المطلب الأول : ابن الرّوميّ وأصوله
- ❖ المطلب الثاني : ميلاده ونشأته
- ❖ المطلب الثالث : مسيرة حياته
- ❖ المطلب الرابع: ديوانه (إحصاء)

❖ المبحث الثاني : عصر ابن الرومي

- ❖ المطلب الأول : الحياة السّيّاسيّة
- ❖ المطلب الثاني : الحياة الاجتماعيّة
- ❖ المطلب الثالث : الحياة الفكريّة

المبحث الأول: ابن الرّوميّ سيرة وفن

المطلب الأول : ابن الرّوميّ وأصوله

أولا : مولده و سيرته :

يعد ابن الرومي شاعرا بارزا من شعراء العصر العباسي في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، مع أن مصادر أدبية قديمة أغفلته، على رأسها كتاب "الأغاني" لأبي فرج الأصفهاني، في حين أصفه المعاصرون في دراسات كثيرة، أهمها كتاب "ابن الرومي: حياته من شعره " للعقاد.

بدأ ابن الرومي حياته في العصر العباسي الأول ومضى أكثر عمره في العصر العباسي الثاني. إنه عاصر تسعة من الخلفاء العباسيين: المعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي والمعتمد والمعتضد. حينما كان طفلاً صغيراً توفي أبوه « فكفله أخوه وأمه ويبدو أن أخاه كان يعاشر الأدباء والظرفاء ويحضر مجالسهم ويقضي أيامه في جلسات الشرب واللهو في بساتين بغداد، فكان يصحب أخاه إلى كل ذلك، وقد كان أخوه هذا ظريفاً حاضر النكتة والبديهة وكان يجمع بين الإمعان في اللهو وحُبَّ الأدب ومجالس العلماء وهكذا نرى أنَّ شاعرنا قد بدأ بداية مترفة بين أخيه وأمه. أيضاً كان في الجو الَّذي اختلط فيه الاضطراب السياسي والرفاه الاجتماعي، في العلم والثقافة والثورات، وليس ،في يديه سلاح سوى الثقافة الواسعة وشعره، إذ يبدو أنَّ أخاه قد أسرف في البذل على الملّذات، فاستند كل ماله، فاتخذ ابن الرومي الشعر وسيلة إلى العيش. أمّا على صعيد الحياة الاجتماعية، فقد كانت بغداد، حتى ذلك الحين ،عاصمة الدنيا إذا جاز التعبير، تنسكب فيها الأموال وحضارات الشعوب قاطبة من كل جانب وكان الرخاء يكون عاماً. فالحياة فيها باذخة رغم الفروق الطبقية، في ذلك الجو بدأ الشاعر شبابه، حيث الحانات منثورة في البساتين والأحياء ومفاتن الحياة شتّى، فالقيان الجواري منهن والمغنيات، كثيرة يتهاداهن الأمراء والقادة وأصحاب الشأن و يتغزل بهن الشعراء[1].

وأما خصائصه الظاهرية كما يصفها عقاد في كتابه: «فكان صغير الرأس مستدير أعلاه وأبيض الوجه يخالط لونه شحوب في بعض الأحيان وتغير، وكان نحيلا بين العصبية في نحو له، أقرب إلى الطول أو طويلاً غير مفرط، كثيف اللحية أصلع بادر إليه و الشيب في شبابه، أدركته الشيخوخة الباكرة، فاعتل جسمه وضعف نظره وسمعه ولم يكن قط قوي

[1]. البستاني، بطرس : أدباء العرب،ب ط، دار الجيل،1883 م.

البنية في شباب و لا شيخوخة ومشي اختلج في مشية ولاح للناظر كأنَّه يدور على نفسه أو يغربل، لاختلال أعصابه و اضطراب أعضائه، وكان على حظ من وساقه الصلعة في شبابه معتدل القسمات لا يأخذ الناظر بعيب بارز ولا حسنة بارزة في صحة وجهه، أمَّا في الشيخوخة فقد تبدلت ملامحه وتقوس ظهره و لحق به ما لابُدَّ أن يلحق من تغيير السقام و الهموم[2]

المطلب الثاني : ميلاده ونشأته

ابن الرومي شاعر كبير من العصر العباسي، من طبقة بشار والمتنبي، شهدت حياته الكثير من المآسي والتي تركت آثارها على قصائده، تنوعت أشعاره بين المدح والهجاء والفخر والرثاء، وكان من الشعراء المتميزين في عصره، وله ديوان شعر مطبوع.

يعد ابن الرومي شاعرا بارزا من شعراء العصر العباسي في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، مع أن مصادر أدبية قديمة أغفلته، على رأسها كتاب "الأغاني" لأبي فرج الأصفهاني، في حين أصفه المعاصرون في دراسات كثيرة، أهمها كتاب "ابن الرومي: حياته من شعره " للعقاد.

وابن الرومي هو علي بن العباس بن جريج، و يستدل بذلك انه من أصول اعجمية، فهو يوناني رومي من ناحية الأب، فارسي من ناحية أمه.

ولد ببغداد سنة 221هـ/835م وعاش فيها لا يكاد يفارقها. ويرجح العقاد أن سنة وفاته كانت 283هـ/896 م.

يتوزع شعره في مصدرين اثنين، هما: ديوانه الضخم، وكتب الأدب واللغة والتاريخ.

أدرك في طياته ثمانية خلفاء؛ هم :الواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي والمعتمد، والمعتضد الذي توفي بعد ابن الرومي ببضع سنوات، فإذا أردنا أن نحيط بالحالة التي كانت عليها الحكومة وسياسة الدولة يومذاك؛ فلعلنا لا نستطيع أن نعرض لذلك ببيان هو أوجز من الإلمام بالمصير الذي صار إليه بعض أولئك الخلفاء؛ فمنهم واحد قُتل، وهو المتوكل، وثلاثة خلعوا وقُتلوا بعد خلعهم؛ وهم :المستعين والمعتز والمهتدي، وقيل :إن من الآخرين من مات مسمومًا، والبقية الذين ماتوا على سرير الملك لم يخل عصر أحدهم من

[2]. العّقاد، عباس محمود: ابن الرومي حياته وشعره، ص ص 93-92.

فتنة، أو انتفاض، أو غارة خارجية، ولم يكن حظ ولاة العهود والأمراء والوزراء بخير من حظ الخلفاء، ولا مصير أكثرهم بأسلم من هذا المصير، فقل بين هؤلاء من نجا من الخلع والسجن والتعذيب واستصفاء الأموال .

وكان الخلفاء عرضة للغضب والكيد من الجند والوزراء ونساء القصور، أما الأمراء والوزراء فكانوا عرضة للغضب والكيد من جميع هؤلاء، ويزيد عليهم الخلفاء كلما قدروا على البطش، وأمنوا على أنفسهم دسائس المشاغبين والمنافسين.[3]

المطلب الثالث : مسيرة حياته

كان مولعاً بالعلم « ينصرف إلى متابعة التحصيل و الحضور في مجالس العلماء والفقهاء والأدباء والرواة وشارحي المتون والبلاغيين والتزود بزاد دسم من ثقافة عصره. وكان قد رفعه في هذا الاتجاه منذ صغره. تتلمذ شاعرنا على بن محمد بن حبيب الرواية النسابة، صديق والده، و قد كان يرجع إليه دائماً في تفسير ما غلق عليه من غرائب اللغة العربية[4] إنَّ ابن الرومي تتلمذ أيضاً على «أبي العباس ثعلب عن حماد بن المبارك عن حسين بن الضحاك و قد نشأ على تعاطي الفلسفة. يقول المسعودي: أن الشعر كان أقل آلاته لعلمنا ذلك من شواهد شتي في كلامه[5]، فقد أتيح لشاعرنا أن يتزود بثقافة واسعة ومكتثفة، لغةً ونحواً وأدباً ،كما نراه يتجه إلى الثقافة المعاصرة وإلى الشعر و رواية القديم و الحديث. « وأما ميله إلى إتجاه الثقافة المارة لم يلبث أن جرى على لسانه، فتهادته النوادي و المحافل في بغداد،كما تهاداه إلى الوزراء وكبار رجال الدولة، و لكن مع شيء من التحفظ و الاحتياط .والحق أن الوارثة عند ابن الرومي ليست كل شيء في شعره إذ ينبغي أن نضيف إليها الثقافة اليونانية الإسلامية، فعند ابن الرومي يونانية أصيلة ويونانية مكتسبة لعلها أهم من يونانية الأصيلة، وهناك أيضاً ثقافة إسلامية و عربية مكتسبة، وإذن ففي شعر ابن الرومي عناصر ثلاثة يضاعف إليها عنصر رابع، و هو عنصر شخصي خاص بمزاج ابن

1. المرجع نفسه، ص 14

4. الحر عبد المجيد : ابن الرومي ،حياته، نفسيته، فنه من خلال شعره، الطبعة الأولى، ص24.

5 .حصري قيرواني، أبو إسحاق : زهر الآداب وثمر الألباب، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ الطبع.

الرومي كان له تأثير هام في شعره[6] «. يشير ابن الرومي إلى عبقريته و ثقافته اليونانية في شعره حيث يقول: ونحن بنو اليونانِ قوم لنا حجاً ومجدٌ وعيدانٌ صلابُ المعاجِمِ

قد مضي ابن الرومي معظم أيامه في عزلة وانزواء «نكب ابن الرومي بجميع أفراد أسرته، بأبيه وأمه و أخيه وخالته، فبقي لا معين له في الدهر يعضده، ولا ملاذ له في الشدائد يدخل العزاء على نفسه وكان قد تزوّج ليجد راحة بعد العناء، وأمناً بعد القلق، وأنساً يدفع الوحشه، فرزق أولاداً ثلاثة رأى فيهم نعمة الإيراق بعد اليباس وإطلالة الأصل بعد اليأس .وأصغر هؤلاء هبة الله و أوسطهم محمد، وأمَّا أكبرهم فلم يذكر اسمه، ولكن الدواهي لم تغفل عينها وعن إيذائه، فأقبل الموت ينتزع من دنياه الواحد تلو الآخر من صبية، حتى ثكلهم جميعاً فبكاهم، ثُمَّ رزئ بأمهّم بعدهم فبكاها[7]

كان ابن الرومي يميل إلى طريق الحق و يعتمد على أموره إلى الله (تعالى) كما ظهر في شعره:

يَشهدُ الله أنَّ ديني دين يرتضيه شهادةَ ومغيبا
لَم أعانِد بِه الطريقَ، و لا أضـ حَي لَدين المَعانَدينَ نَسيبا
وكفى شاهَداً بِذاک مليک لَم تزل عَينَه عَليَّ رقيبا[8]

كما نرى « له في مودة ذى القربي من آل الرسول ،صلوات الله عليه و عليهم، أشواط بعيدة ، ودفاعه عنهم من أظهر الحقائق الجلية. وابن الرومي متشيع، بقصيدته القوية المتفجعة التي رثى بها الشهيد يحيي بن عمر العلوي الَّذي قام على العباسيين. فليس عجيباً أن يصرح ابن الرومي بعدائه لبني العباس و بتشيعه للعلويين مع أن أباه كان مولى لرجل من بيت العباسيين، و قد جمع ابن الرومي إلى التشيع الاعتزال، وفي شعره ما يدل صراحة على ذلک، والمعتزلة يقولون باختيار الإنسان لأفعال وخلقه لها، حتى يثبتوا الله العدل حين يحاسب الناس على أعمالهم التي ارتكبوها بمحض اختيارهم، لا بطريق الجبر عليهم. لقد كان ابن الرومي شاعراً، مسلماً، مومناً، متديناً، وما عرف عنه أنَّه اتخذ لنفسه مذهب الفلاسفة أو كان ضعيف العقيدة مزعزع الإيمان مثل بشار بن برد وسائر الشعراء[9].

6 .ضيف ، شوقي: الفن ومذاهبة في الشعر العربي، ص 202-200
7. ابن الرومي ،علي بن عباس ، الديوان ، ج3، ص 347.
8. المرجع نفسه ص307
9.عبدالغني حسن، محمد: نوابغ الفكر العربي، ابن الرومى،ص931

يوصف أخلاق ابن الرومي« بأنَّه دقيق الحس، عصبي المزاج، تغلب عليه السوداء، فيثور، ويشتد غضبه ويسلط لسانه إذا عبث به عابث، ولكن سريع الرضى، صفوح إذا استرضى. وكان يحب الحياة و ينتعشها مع ما لقي فيها من بؤس وشقاء والحياة عند لذة يتطلبها و يستمتع بها و اللذة عند شهوة إلى الجمال يتعبه أينما بدأ له فيستعذبه في وجوده الملاح، و في أصوات المغنين و القيان، و في الطبيعة و ما عليها من صور و ألوان و اللذة عند شهوة إلى المآدب، فهو منهوم لا يشبع من طعام و فواكه و شراب و طلبه لهذه الملذات على فقره وحرمانه، جعله يحسد كل ذي نعمة، فيتمناها لنفسه، ويستكثرها في صاحبها وجعله يلحف في السؤال يعاقب و يتذلل حتى يتبغض. وكان على حبه للتكسب يجبن عن ادراک رزقه، فقد يدعوه بعض الأمراء فما يجرؤ أن يصير إليه لأنه يخشي الأسفار ويخفيه البّر والصيف والشتاء. فهو موسوس، ضعيف العقل، متشائم، متطير. ومن صفاته الحسنة أنَّه كان صادق المودة لأصحابة، محباً لأولاده و أهله عطوفاً على الفقراء و المساكين[10].

أمضي ابن الرومي معظم أيامه في عزلة و إنزواء «نكب ابن الرومي بجميع أفراد أسرته، بأبيه وأمه و أخيه وخالته، فبقي لا معين له في الدهر يعضده، ولا ملاذ له في الشدائد يدخل العزاء على نفسه وكان قد تزوّج ليجد راحة بعد العناء، وأمناً بعد القلق،وأنساً يدفع الوحشه، فرزق أولاداً ثلاثة رأى فيهم نعمة الإيراق بعد اليباس وإطلالة الأصل بعد اليأس .وأصغر هؤلاء هبة الله و أوسطهم محمد، وأمَّا أكبرهم فلم يذكر اسمه، ولكن الدواهي لم تغفل عينها وعن إيذائه، فأقبل الموت ينتزع من دنياه الواحد تلو الآخر من صبية، حتى ثكلهم جميعاً فبكاهم، ثُمَّ رزيء بأمهّم بعدهم فبكاها[11]

أمَّا لسانه، فهو وثيق الصلة بموته و بكثرة أهاجيه و هجاؤه وثيق الارتباط بطيرته وتشاؤمه من كل الأشخاص و الأشياء. إذن يصل ابن الرومي في الهجاء و التصرف بمعانيه و أساليبه و الإفحاش في ذلک إلى حد خافه معه معاصروه، و اشتهر ابن الرومي بالجرأة على هجاء الأمراء فلم يسلم أحد من الخوف منه حتى الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب. أن الوزير يخاف هجوه و فلتات لسانه بالفحش، فأكله بالسم ومات ابن

10. البستاني، بطرس: أدباء العرب، ج3، ص 242، 241.
11. ابن الرومي ،علي بن عباس ، الديوان ، ج3، ص 347

الرومي مسموماً (سنة 283 هـ.) بسبب هجائه اللاذع وطول لسانه. و قبل موته، فهم بتقصير الطبيب لمعالجته بالسم، فظَّن أنه قصر عليه[12].

مدار حياته للكثير من الكوارث والنكبات والتي توالت عليه غير مانحة إياه فرصة للتفاؤل، فجاءت أشعاره انعكاساً لما مر به، وإذا نظرنا إلى تاريخ المآسي الذي مر به نجد انه ورث عن والده أملاكاً كثيرة أضاع جزء كبير منها بإسرافه ولهوه، أما الجزء الباقي فدمرته الكوارث حيث احترقت ضيعته، وغصبت داره، وأتى الجراد على زرعه، وجاء الموت ليفرط عقد عائلته واحداً تلو الآخر، فبعد وفاة والده، توفيت والدته ثم أخوه الأكبر وخالته، وبعد أن تزوج توفيت زوجته وأولاده الثلاثة.

قال عنه طه حسين نحن نعلم أنه كان سيء الحظ في حياته، ولم يكن محبباً إلى الناس، وإنما كان مبغضاً إليهم، وكان مُحسداً أيضاً، ولم يكن أمره مقصوراً على سوء حظه، بل ربما كان سوء طبيعته، فقد كان حاد المزاج، مضطر به، معتل الطبع، ضعيف الأعصاب، حاد الحس جداً، يكاد يبلغ من ذلك الإسراف

أمّا عن وفاته قال ابن خلكان في وصفه الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب والتوليد الغريب، يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ويبرزها في أحسن صورة ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى أخره ولا يبقي فيه بقية.

توفي ابن الرومي مسموماً ودفن ببغداد عام 283هـ - 896م، قال العقاد أن الوزير أبا الحسين القاسم بن عبيد الله بن سلمان بن وهب، وزير الإمام المعتضد، كان يخاف من هجوه وفلتات لسانه بالفحش، فدس عليه ابن فراش، فأطعمه حلوى مسمومة، وهو في مجلسه، فلما أكلها أحس بالسم، فقال له الوزير إلي أين تذهب؟ فقال إلي الموضع الذي بعثتني إليه، فقال له سلم على والدي، فقال له ما طريقي إلى النار.

يقول ابن خلكان في تاريخ وفاة ابن الرومي: «توفي يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين، وقيل :أربع وثمانين، وقيل :ست وسبعين ومائتين، ودفن في مقبرة باب البستان»[13]

فأي هذه التواريخ صحيح؟ إن الذين جاءوا بعد ابن خلكان تابعوه في هذا الشك الذي لا مسوغ له اعتمادًا على روايته بغير بحث في شعر الشاعر، ولا في كتب المؤرخين الذين

12 . الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك: الوافي بالوفيات، ج11، ص 171.
13.ابن الرّوميّ،حياته من شعره،عبّاس محمود العقّاد- مؤسّسة هنداوي .ط1. ص61

سبقوا ابن خلكان .ولا مسوغ لهذا الشك كما قلنا لأن ابن الرومي أثبت لنا أنه بلغ الستين، وعاش إلى ما بعد سنة ثمانين إذ يقول :

طربت ولم تطرب على حين مطرب وكيف التصابي بابن ستين أشيب فهو لم يمت في سنة ست وسبعين على التحقيق، ولا يظن أن الستين هنا تقريبية لضرورة الشعر، وأنها قد تكون خمسًا وخمسين أو ستًّا وخمسين، فإنه ذكر الخمس والخمسين في موضع آخر حيث قال: كبرت وفي خمس وخمسين مكبر وشبت فألحاظها ألمها عنك نُفَّر وليس من المعروف عنه أنه كان يعيا بنظم ما يريد .

ولو راجع ابن خلكان كتاب مروج الذهب للمسعودي لعرف منه أن ابن الرومي كان حيًّا بعد ست وسبعين، فلا محل للقول بموته في تلك السنة؛ فقد جاء في تاريخ المعتضد من ذلك الكتاب أن قطر الندى بنت خمارويه وصلت إلى مدينة السلام مع ابن الجصاص في ذي الحجة،٢٧ سنة إحدى وثمانين ومائتين؛ ففي ذلك يقول علي بن العباس الرومي :يا سيد العرب الذي زفت لهب اليمن والبركات سيدة العجم إلى آخر الأبيات. وهذا فضلًا عن مقطوعات أخرى نظمها الشاعر في العرس الذي احتفل به الخليفة سنة اثنتين وثمانين .

فمن المحقق إذن أن ابن الرومي تجاوز سنة ست وسبعين، ولم يبق لنا إلا أن نبحث في السنتين الأخريين؛ أي سنتي ثلاث وأربع وثمانين .

فعندنا تاريخ اليوم والشهر من أولاهما، وليس عندنا مثل ذلك من الثانية، وهذا مما يرجح وفاته في سنة ثلاث وثمانين دون أربع وثمانين .

ويقوي هذا الترجيح أن مضاهاة التواريخ تثبت لنا أن جمادى الأخرى من سنة ثلاث وثمانين بدأت يوم جمعة، فيكون يوم الأربعاء قد جاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى في تلك السنة، كما جاء في تاريخ الوفاة .

وقد ضاهينا هذا اليوم على التاريخ الأفرنجي، فوجدناه يوافق الرابع عشر من شهر يونيو، أي :يوافق إبان الصيف في العراق، وابن الرومي مات في الصيف كما يؤخذ من قول الناجم إنه دخل عليه في مرضه الذي مات فيه وبين يديه ماء مثلوج، فيجوز لنا على هذا أن نجزم بأن أصح التواريخ هو التاريخ الأول، وهو «يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين»[14]

14. المرجع نفسه ،ص203

والأقوال بعد ذلك مجمعة على موت ابن الرومي بالسم، وأن الذي سمَّه هو القاسم بن عبيد الله أو أبوه .

ولكن الروايات في هذا الخبر لا تخلو من ضعف واضطراب، فالرواية التي أوردها ابن خلكان تقول:«...إن الوزير أبا الحسين القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب، وزير الإمام المعتضد، كان يخاف من هجوه وفلتات لسانه بالفحش، فدسَّ عليه ابن فراش، فأطعمه خشكنانجة مسمومة وهو في مجلسه، فلما أكلها أحس بالسم، فقال له الوزير :إلى أين تذهب؟ فقال :إلى الموضع الذي بعثتني إليه، فقال له: سلم على والدي !فقال له :ما طريقي على النار »

بين هذه الشبهات المتضاربة شبهة تعرض للذهن، ولا يجوز إغفالها في هذا المقام، وهي تبيح لنا أن نسأل :ألا يحتمل أن يكون حديث السم كله خرافة مخترعة لا أصل لها، وأن ابن الرومي مات ميتة طبيعية تشتبه أعراضها بأعراض التسمم المعروفة في زمانه؟ فمن كلام الناجم الذي زاره في مرض وفاته نعلم أنه كان يشكو من إلحاح البول، فلما لاحظ الناجم ذلك قال :

غدًا ينقطع البول ويأتي الهول والغول

وأنه كان قد أعد ماء مثلوجًا؛ لأنه» قلما يموت إنسان إلا وهو ظمآن«، وكان يقول فيما روته الأمالي وهو يشرب ولا يروى :

وأراه زائدًا في حرقتي فكأن الماء للنار حطب والظمأ وإلحاح البول عرضان من أعراض «مرض السكر»[15]، وهو مرض يُحدِث لصاحبه التسمم، ولا سيما بعد أكل الحلوى والإفراط فيها، وابن الرومي لم تكن تعوزه أسباب الإصابة به؛ لأنه كان منهومًا بالحلوى والأطعمة الثقيلة، مستسلمًا للشهوات، مسرفًا في الشراب مع ضعف أعصابه واعتلال جسمه، فمن الجائز أنه أصيب به فاشتد عليه في شيخوخته، وفصده الطبيب وفسد الجرح كما جاء في رواية زهر الآداب، فأودى ذلك بحياته، ويسهل في هذه الحالة أن يشيع حديث السم ولواحقه لما كان يعتري ابن الرومي من كثرة التوهم، أو لما كان مشهورًا عن القاسم من سوء الطوية والضراوة بالغدر والفتك، بحيث لا يكبر عليه قتل شاعر هجاه، فإذا كان الموت قد حدث بعد وليمة في بيت القاسم، فهذا مما يؤكد التهمة ويصعب على الناس أن

15. المرجع نفسه ،ص206

يعللوه بغير السم والمكيدة، وإن كان الطعام وحده كافيًا للقضاء على رجل جاوز الستين في شيخوخة متهدمة مهملة، طالت إصابته بمرض دفين لم يكن علاجه ميسورًا في أيامه .

ولا ريب أن لشخصية ابن الرومي يد واسعة في صوغ عبقريته وصبغها بمميزاتها الخاصة :من شعور متوقد حاد، دقيق الإحسا ، ومقدرة عجيبة على الملاحظة، والتصوير جعله يتمثل كل شيء حتى الطبيعة الجامدة والخواطر المجردة أشخاصًا حية تستولى على النفس بأخف مظاهرها[16].

عاصر ابن الرومي في بيئته كثير من الشعراء ، من أشهرهم في عالم الشعر : الحُسين بن الضحَّاك ، دعبل الخزاعي ، البُحتُري ، علي بن الجهم ، ابن المعتز، أبو عثمان الناجم.

وليس لهؤلاء ولا لغيرهم ، مِمَّن عاصروه وعرفوه ، أو لم يعرفوه ، أثر يُذكر في تكوينه غير اثنين فيما نظنُّ هما : الحسين بن الضحّاك ، ودعبل الخزاعي .

يكاد اسم ابن الرومي لا يغيب في الكتب القديمة، لأنه كان شاعراً مجيداً في مختلف الفنون، وكان غزير الشعر رحب الآفاق الشعرية، متعدد الأغراض. أما النقاد والمؤرخون الذين كانوا أقرب عهداً بابن الرومي، فإنهم يجمعون على شهرته باختراع المعاني، وهو تعبير عن" التجديد " الذي شاع في ذلك الزمان، يقول ابن رشيق" :وأما ابن الرومي فأولى الناس باسم شاعر، لكثرة اختراعه، وحسن افتنانه، وقد غلب عليه الهجاء حتى شهر به، فصار يقال :أهجى من ابن الرومي، ومن أكثر من شيء عرف به، وليس هجاء ابن الرومي بأجود من مدحه ولا أكثر، ولكن قليل الشر كثير ."ويقول" :وأكثر المولدين اختراعاً وتوليداً -فيما يقول الحذاق - أبو تمام وابن الرومي ."ويقول أيضاً" :وأنا أقول :إن أكثر الشعراء اختراعاً ابن الرومي[17] ويرى المرزباني في معجمه أن ابن الرومي" أشعر أهل زمانه بعد البحتري وأكثرهم شعراً وأحسنهم أوصافاً، وأبلغهم هجاء وأوسعهم افتناناً في سائر أجناس الشعر وضروبه وقوافيه، ويركب من ذلك ما هو صعب متناوله على غيره[18].

وفي الكتب المتأخرة تقريظ كثير له، جاء في" معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ..." :"الشاعر المشهور، صاحب النظم العجيب، والتوليد الغريب، يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكامنها ويبرزها في أحسن قالب، وكان إذا أخذ المعنى لا يزال يستقصي فيه حتى لا يدع فيه فضلة ولا بقية ومعانيه غريبة جيدة)"٥٩ وهنا نتساءل :

16. حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، ص 543
17. الحسين بن رشيق، العمدة ج 2 ص244
18. معجم الشّعراء ص 145

أين كان موقعه من شعراء عصره؟ فقد رأينا المرزباني يؤخره عن البحتري، وكذلك يفعل الباقلاني حين يقول" :وإنما تبقى الشبهة في ترتيب الحال بين البحتري وأبي تمام وابن الرومي وغيره، ونحن وإن كنا نفضل البحتري بديباجة شعره على ابن الرومي وغيره من أهل زمانه، نقدمه بحسن عبارته، وسلاسة كلامه، وعذوبة ألفاظه، وقلة تعقد قوله [19]"وابن رشيق يضع أبا تمام والبحتري وابن الرومي وابن المعتز في طبقة واحدة، ويؤخر في الشهرة ابن الرومي وابن المعتز[20]. وهذا صحيح، لأن المعركة الأدبية التي قامت بين أنصار أبي تمام والبحتري والتي تمخض عنها كتاب الموازنة "للآمدي فيما بعد، جعلت من الشاعرين حديث الناس، أما ابن الرومي فكان يعيش في الظل، وبعيداً عن الصدارة في الحياة الأدبية فقد كان يبتعد عن القصور والخلفاء، كذلك فإنه كان يسف في هجائه ويبتذل إلى حد الانحطاط أحياناً، وهذا - بلا شك -يؤثر أيضاً في نظرة الناس إليه. وكان بعضهم يفضل ابن الرومي على المتنبي، فيرد على ذلك الجرجاني في" الوساطة "مفّنداً حجج أنصار ابن الرومي مدافعاً عن صاحبه المتنبي، يقول" :وقد نجد كثيراً من أصحابك ينتحل تفضيل ابن الرومي ويغلو في تقديمه، ونحن نستقرئ القصيدة من شعره، وهي تناهز المئة أو تربي أو تضعف، فلا نعثر فيها إلا بالبيت الذي يروق أو البيتين، ثم قد تنسلخ قصائد منه وهي واقفة تحت ظلها، جارية على رسلها، لا يحصل منها السامع إلا على عدد القوافي وانتظار الفراغ، وأنت لا تجد لأبي الطيب قصيدة تخلو من أبيات تختار، ومعان تستفاد وألفاظ تروق وتعذب، وإبداع يدل على الفطنة والذكاء، وتصرف لا يصدر إلا عن غزارة واقتدار.

19. الباقلاني. إعجاز القرآن الكريم ص 243
20. ابن رشق. العمدة ج1 ص100، 101

المطلب الرابع: ديوانه (إحصاء)

يعتبر ديوان ابن الرومي من أكبر الدواوين الشعرية في الأدب العربي، وأكثرها إلمامًا بكافة أغراض الشعر وقد تناول ديوان ابن الرومي عدد ليس بالقليل من المحققين والشُّراح الذين قاموا بحصر الديوان من حيث عدد القصائد والأبيات والبحور الشعرية وكذلك الأغراض التى حفل بها الديوان من مدح ، وهجاء ورثاء ، ووصف وغيرها من أغراض الشعر.

والجدول الآتي يوضح عدد قصائد وأبيات وبحور الديوان[21].

البحور	القصائد	الأبيات
الطّويل	408	6248
المديد	5	76
البسيط	264	3559
الوافر	149	1962
الكامل	302	4809
الهزج	20	270
الرّجز	99	1112
الرّمل	80	1117
السّريع	141	1760
المنسرح	119	2517
الخفيف	291	5604
المجتث	28	280
المتقارب	126	1201
13	**2032**	**30515**

من خلال بيانات الجدول يتضح لنا براعة ابن الرّوميّ ومقدرته على استخدام أوزان اللغة العربية وقوافيها دون تكلف أو بذل أدني جهد، وأكثر قصائد الديوان في المدح ثم تليها الأغراض الأخرى. وابن الرومي كثير الإطناب بعيد المدى في ميدان النظم، وهو ماهر في استخدام الألفاظ لمعانيه مما يدل على غزارة مادته اللغوية.

المبحث الثاني : عصر ابن الرومي

21. الموسوعة الشعرية ، الإمارات العربية المتحدة – أبو ظبي ، المجمع الثقافي ، الإصدارة الأولى.

المطلب الأول : الحياة السّيّاسيّة

تسنّمَ العباسيون سُدَّة الحكم بعد أن انتزعوها من أبناءِ عمومتهم الأمويين، بسيوف فارسيّةٍ بَيدَ أَنَّ هذه السيوف التي كانت حِصْنَاً يلْتَجِىءُ إليه بنو العباس، قد أصبحت في آخر العصر العباسي الثاني خطراً يُهَدِّدُ الخلافة العباسيّة بالسقوط، بعد أن استفحل أَمْرُهُم وقَوِيَتْ شَوكَتُهم، وباتوا يَتَدَخْلُونَ في كُلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ من شؤون الدولة. وهذا ما يؤكده المسعودي حينما يرى «أَنَّ الحركةَ العباسيّةَ حركةٌ قوميّةٌ، قام بها الفرس ضد السِّيَادة العربيّة في الدّولةِ الإسلاميةِ...»[22].

ويقارنُ الجاحظ بين الدولة الأَمويّة والدّولة العباسيّةِ فيقولُ: «دولةُ بني مروان عربيّة أَعرابيّة، ودولة بني العباس أَعجَميّة فارسيّة..»[23].

استولى الترك على مقاليد الحمك من أيدي الفرس، "ولم يكونوا أصحاب ثقافة ولا حضارة، ولا كان لهم معرفة بإدارة ولا بنظم سيّاسيّة، ففسدت الأداة الحكوميّة فسادًا شديدًا. وكانت هناك طبقة تغرق في الترف والنعيم، وكان جمهور الشعب يعيش في الضنك والبؤس، وظلت الحياة العقلية مزدهرة بما نقل ـ وما كان يُنقَل ـ من الثقافات الأجنبية. ممّا هيّأ لظهور فلاسفة عظام وعلماء بارعين في جميع العلوم اللّغوية والبلاغية والنقدية والتاريخية والإسلامية والكلامية"[24].

...وأعلن العباسيون أنهم أصحاب الحق الشرعي في الحكم الخلافة، وبذلك استأثروا بها من دون أبناء عمهم العلويين، مما جعل كثيرين منهم يثورون عليهم طوال العصر، كما جعل أنصارهم يدعون لبيتهم العلوي سرًا كلما وجدوا إلى ذلك سبيلًا، في حين مضى العباسيون يعلنون أنهم أصحاب حق إلهي في الحكم والسلطان وتمادوا في حكم استبدادي أشد ما يكون الاستبداد محيطين أنفسهم بكثيرين من الحُجّاب، أمّا الشعب فلم يزد في رأيهم عن أن يكون أدوات مسخرة لجمع الخراج والضرائب الفادحة، مما دفع لقيام ثورات إيرانية مختلفة،...وحقًا كانت أعلى المناصب وأكثرها في أيدي الفرس، وكان منهم أكثر الوزراء والقواد، غير أن العباسيين نكبوهم نكبات متوالية، على نحو ما هو معروف عن نكبة البرامكة ومكبة بني سهل. ونشب جرّاء ذلك عداء شديد بين الفرس والعرب، فالعرب

22. المسعودي، مروج الذهب 163/3 وما بعدها.
23. الجاحظ، البيان والتبيين 366/3.
24. شوقي ضيف – تاريخ الأدب العربي ـ العصر العباسي الثاني ـ دار المعارف ط2. ص5

يريدون استرداد مجدهم في العصر الأموي والفرس لا يكتفون بما لهم من مجد حادث في الدولة، وكأنهم يريدون أن يستعيدوا مجد دولتهم الساسانية القديمة ويمحقوا العرب محقًا، مما أعدّ لظهور تيار شعوبي بغيض رافقه تيار إلحاد وزندقة لا يقل عنه عنفا ولا محاولة لهدم الإسلام والعروبة جميعًا. وفي أثناء ذلك كانت الثورات مضطرمة في شرقي الدولة، وكلما خمدت ثورة اندلعت أخرى، وكان آخرها اندلاعا ثورة بابك الخرمي في آذربيجان التي ظلت نحو عشرين عامًا والتي كلفت الدولة كثيرا من الجيوش إلى أن سحقها المعتصم وقواده سحقًا[25].

سيطر الترك على أداة الحكم بعد مقتل المتوكل، وصاروا حكاما حقيقيين للدولة، وانطفأ صيت الخلفاء، قال أحد الشعراء:

خليفة في قفص بين وصيف وبُغا

يقول ما قالا له كما يقول البــبّغا

ومن خلال البيتين شبهوا الخليفة بالببغاء في قفص يردد ما يقوله الأتراك الذين أخذوا مقاليد الخلافة العباسية، وأنزلوا بالخلفاء ما لا يطاق من الذل الهوان. وازداد الوضع السياسي سوءًا بنشوب الثورات كثورتي الزنج والقرامطة ولم تضع الحرب أوزارها إذ دامت ثورة الزنج نحو أكثر من أربع عشرة سنة.

المطلب الثاني : الحياة الاجتماعيّة

عُرف المجتمع العباسي بطبقاته الثلاث الأساسية، طبقة عليا يمثلها الخلفاء والوزراء والقواد والولاة ومن تلاهم من الأمراء وكبار القوم للدولة ورؤوس التجار وأصحاب الإقطاع من الأعيان وذوي اليسار. وطبقة وسطى تشمل رجال الجيش وموظفي الدواوين والتجار والصناع الممتازين. وطبقة دنيا تشتمل على البقية أيّ العامّة من الزراع وأصحاب الحرف الصغيرة والخدم والرقيق، وأهل الذّمّة.

والحاصل أنّ المجتمع العبّاسيّ شعبه مكوّن من فئات مختلفة الأجناس والاعراق، وهم الفرس والأتراك والرقيق والزنج والعرب والطوائف الدينية والروم وفئات أخرى.

25.المرجع نفسه ، ص 9 - 10 .

الطبقة الأولى عُرفت بإغراقها في النعيم، وآثار ذلك من أموال الجباية والخراج، وجمعت القناطير المقنطرة من الدراهم والدنانير، وبلغت النفقات أكثر ما بلغتهفي عصر المتوكل خاصة في بناء القصور والخزائن، وقد بلغت قصوره نحو العشرين التي ألبست حيطانها من الداخل والخارج بالفسيفساء والرخام المذهب. وعلى غرار الطبقات الثلاث هناك عدد هائل من أهل الديانات الأخرى، من النصارى واليهود والمجوس والصابئة، وكانوا يسمون اهل الذمة. هذا النعيم المغدق فتح أمامهم باب الترف واللهو والمجون.

انتشر في المجتمع العباسي الغناء والموسيقى أكثر من أي فن آخر ومعه انتشرت الشعوبية والتغني بشرب الخمر والكأس والنبيذ وغيرها، وفي ذلك يقول ابن الرومي ويقصد الشاعر بالحجازي الشافعي، وبالعراق أبا حنيفة:

أحلَّ العراقيُّ النبيذَ وشربَـــــهُ وقال الحرامان المدامةُ والسُّكرُ
وقال الحجازيُّ الشرابان واحدٌ فحلّتْ لنا بين اختلافهما الخـمرُ
سآخذ من قوليهما طرفيـــهما وأشربها لا فارقَ الوازر الوزرُ[26]

وفي ذات سياق صور عدد كثير من الشعراء أنسهم وتغنيهم بالخمر والحانات واللّذة وجمال الجواري والطبيعة، وفي ذلك قال البحتري:

فَاِشرَب عَلى زَهرِ الرِياضِ يَشوبُهُ زَهرُ الخُدودِ وَزَهرَةُ الصَـــهباءِ
مِن قَهوَةٍ تُنسي الهُمومَ وَتَبعَثُ الـ ـشَوقَ الَّذي قَد ضَلَّ في الأَحشاءِ

في القصور انتشر الرقيق والجواري والغناء ومنهم الإفريقي والزنجي، والحبشي، والسوداني والتركي والصقلي، والصيني والخراساني والأرمني والبربري، كانوا أجناسا مختلفة وكل بعقليته وحرفته ومعتقده حسب تجارهم وأصحابهم، إلا ان الإسلام حررهم كالإحسان إليهم والبر بهم والمعاملة الكريمة.

وعلى هذا المبدأ بغضت الشعوبية العرب وكل ما اتصل بهم من إسلام وغير إسلام، وعرج الجاحظ على ذلك قائلا: "إن عامة من ارتابت الإسلام وغير الإسلام إنما كان أول ذلك رأي الشعوبية والتمادي فيه وطول الجدال المؤدى إلى الضلال، فإذا أبغض شيئا أبغض أهله، وإن أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة، وإذا أبغض تلك الجزيرة أحبّ مَن أبغض

26. كامل كيلاني، ديوان ابن الرومي، ص78

تلك الجزيرة، فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام، إذ كانت العرب هي التي جاءت به، وهي السلف والقدوة"[27]

وممن كان يذهب هذا المذهب في الحماقة والجهالة والعداوة للعرب المتوكل الشاعر المنسوب إلى المتوكل لأنه كان من ندمائه، إذ يقول في شعوبية حاقدة ذميمة:

أن ابن الأكارم من نسل جـمّ وحائز إرث ملوك العــجم

وطالب أوتارهم جـــــــهرة فمن نام عن حقهم لم أنــم

فقل لبني هاشم أجمعـــــــين هلموا إلى الخلع قبل النــدم

وعودوا إلى أرضكم بالحـجاز لأكل الضباب ورعي الغنم

فإني سأعلو سرير الملـــــوك بحد الحسام وحرف القــلم[28]

يبدو أنه ينسب نفسه إلى أنه من أبناء جم أو جمشيد الملك الفارسي القديم، وقد وُكِل إليه أخذ الثّأر ممَن قضوا على آبائه، وهو يهدد ويتوعد بني هاشم للعدول والعودة إلى موطنهم الأصلي أي الحجاز ليعيشوا معيشة آبائهم الخشنة.

وخلاصة القول: إنَّ الأتراك لونوا الحياة الاجتماعية بألوان مختلفة، كان لها أثر كبير في حياة العباسيين، وخاصة في القرن الرابع الهجري، فانطبعت الحياة الاجتماعية بطابع جديد، تطور ليصبح الصورة المميزة للعصر، ذلك أَنَّ الأتراك قوم امتهنوا الحربَ والقتال، واستطاعوا أن يفرضوا تأثيرهم على مختلف جوانب الحياة العامة في الدولة.

المطلب الثالث : الحياة الفكريّة

شهد القرن الرابع الهجري نهضة في أرجاء العالم الإسلامي، ارتفعت إلى الذروة، وهي نهضة فكرية وأدبية وفنية، أعطت الحضارة الإسلامية رقعة وأصالة، وكان من الطبيعي أن تبلغ الحركة الفكرية أوجهها وعظمتها في هذا العصر، فهناك عوامل، وظروف أسهمت في دفع عجلة هذه الحركة إلى الرقي والازدهار.

شهدت الحياة الفكرية في العصر العباسي ازدهارا كبيرا في شتى الميادين، يعود سببه إلى ظهور الكثير من العلماء والمفكرين في مختلف العلوم وانتشار حركة الترجمة واهتمام الخلفاء بها، إضافة إلى التوسع في التعليم العام وبناء المدارس والمؤسسات الثقافية مثل دور العلم والربط فضلا عن المساجد ومن العلماء البارزين في اللغة والادب والشعر.

27. الجاحظ، الحيوان،ج7 ص 220 .
28. أحمد أمين، ضحى الإسلام، ط7، ص 65 .

ويمكن أن نذكر بعض هذه الظروف، فعامل التراث العقلي الفارسي واليوناني الذي تمَّ نقله وترجمته إلى العربية في القرنين الثاني والثالث الهجريين، أتى أكله في بدايات القرن الرابع الهجري، ونضجت ملكات المسلمين أنفسهم[29] في البحث والتأليف.

أما العامل الثاني والأكثر أهمية فيعود إلى حالة التجزئة والضعف والفساد الاجتماعي والسياسي الذي اعترى هذا القرن، فإن «من الحسنات القليلة والمؤقتة لحالة التجزئة السياسية والاضطرابات الاجتماعية التي عمت أنحاء المملكة واشتدت منذ الربع الأول للقرن الرابع، أنها ساعدت... على قيام بيئات ثقافية مختلفة»[30]. فبعد أن كانت بغداد مركزاً مشعاً من مراكز الثقافة الإسلامية يقصدها العلماء والأدباء من كل مكان بحثاً عن المراكز العلمية والثقافية. أصبح هناك مراكز علمية وثقافية منتشرة في معظم أنحاء البلاد الإسلامية وبخاصة عند أولئك النفر القليل من الأمراء الذين كانوا يشجعون الثقافة حبّاً وشغفاً بها. ففي أصبهان غدا الصاحب بن عباد وزير بني بويه راعياً للأدب ورجاله، فهو يرسل للفارابي الفيلسوف المقيم في بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب يستدعيه إلى مجلسه في أصفهان ليستفيد من علمه وفلسفته[31]... ودعوة الصاحب بن عباد هذه توضح كثرة حب هذا الوزير للثقافة.

أما بلاط ناصر الدولة وأبنائه فقد ضم مجموعة من أعلام الفكر والأدب كان منهم الخالديان اللذان أمضيا ردحاً من الزمن في الموصل التي تفتحت في ربوعها[32] الثقافة حيث ألَّفا - على الأرجح - كتاب الديارات. كما ضم مجلسه الشمشئاطي والببغاء والتلعفري وغيرهم من الشعراء.

ولم يكن استقطاب هؤلاء الشعراء والمبدعين عائداً إلى نوع من الدعاية رغب فيها أمراء بني حمدان فحسب، بل إنَّ أكثر هؤلاء الشعراء مجيدون يعشقون الأدب والشعر، ويجلُّون أصحابه والبارعين فيه[33]، ومن شعرائهم أبو ثعلب بن ناصر الدولة، وأبو زهير المهلهل بن نصر بن حمدان، وغيرهم ممن أفرد لهم الثعالبي أحد فصوله في اليتيمة[34].

---

29. حسن، د. حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام 339/3.
30. مُنيْمِنَه، حسن: تاريخ الدولة البويهية ص333.
31. البيهقي، تتمة صوان الحكمة ص17-19 /لاهور/ ط1 (1351هـ).
32. السامر، د. فيصل: الدولة الحمدانية ص366.
33. انظر اليتيمة 115/1-119.
34. اليتيمة ج115/1-119.

فالتنافس بين الدويلات ومراكز الحكم الإسلامي أدى إلى تنافس ثقافي، فالمملكة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، كانت أعلى شأناً في العلم من القرون التي سبقتها، حيث نضجت فيها الثمار العلمية، والسبب في ذلك[35] يعود إلى الإمارات الإسلامية المختلفة التي كانت تتبارى في تجميل موطنها بالعلماء والأدباء، وتتفاخر بهم. ومن أجل ذلك - كما أسلفت - حَرَصَ الخلفاء والوزراء على استقطاب الفلاسفة ورجال الفكر، فصمصام الدولة البويهي والمهلبي وابن سعدان جميعهم يتباهون بما لديهم من مفكرين ويفتخرون بمن يصحبون من فلاسفة وعلماء.

وكذلك كان هذا حال سيف الدولة الحمداني في حلب، فقد كان مجلسه يغص بالعلماء والفلاسفة حتى أصبح كعبة الآمال وقبلة الأمجاد، يرحل إليه كل راغب في العلم والمال والشهرة. يقول الثعالبي: «كان بنو حمدان ملوكاً وأمراء أوجههم للصباحة، وألسنتهم للفصاحة، وأيديهم للسماحة، وعقولهم للرجاحة وسيف الدولة مشهور بسيادتهم وواسطة قلادتهم، وكان - رضي الله عنه وأرضاه، وجَعَلَ الجنة مأواه - غرَّة الزمان وعماد الإسلام، ومن به سداد الثغور، وسدَاد الأمور... وحَضْرَتهُ مقصد الوفود، ومطلع الجود، وقبلة الآمال، ومحط الرحال، وموسم الأدباء، وحلبة الشعراء، ويقال إنه لم يجتمع قط بباب أحد الملوك - بعد الخلفاء - ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر، ونجوم الدهر. وكان أديباً شاعراً محبّاً لجيد الشعر، شديد الاهتزاز لما يُمدح به، فلو أدرك ابن الرومي زمانه لما احتاج أن يقول:

ذهبَ الذين تَهزُّهُمْ مُدَّاحُـــــهُمْ هَزَّ الكُماةِ عواليَ المُرّان

كانوا إذا امتُدِحوا رأوْا ما فيهمُ فالأرْيحِيَّةُ منهمُ بمــكان

والمدح يَقْرعُ قلبَ من هُوَ أهلُه قرْعَ المَواعظِ قلب ذي إيمان

الحياة العقلية انتعشت لما أسهمت حركة الترجمة في العصر العباسي في ازدهار العلوم، حيث أَكبَّ المترجمون على المأثورات اليونانية والهندية والفارسية في كل فروع العلم والفلسفة يترجمونها وما إن جاء القرن الرابع الهجري، حتى كان العالم الإسلامي قد ترجم إلى العربية معظم الكتب اليونانية والفارسية في علوم مختلفة إلى العربية، ومن

35. أحمد أمين، ظهر الإسلام 4/1 وما بعدها.

أشهر[36] من ترجم ابن المقفع وقسطا بن لوقا، وثابت بن قرة... أما أشهر الكتب المترجمة فهو كتاب كليلة ودمنة، وكتاب أرسطو في المنطق.

ومن إنجازات هذا العصر ازدياد التّرف وازدهار الغناء والموسيقى .اختراع بعض الآلات الموسيقيّة .تطوّر الحركة العلميّة وتنشيطها .ازدياد المكتبات وحوانيت الورّاقين. نشطت حركة الرّواية، والسّفر في طلب العلم ..التأليف في مختلف العلوم والآداب وازدياد حركة النّقل والتّرجمة ويمكننا القول: إن حركة الترجمة أسهمت في توسيع آفاق العقل العربي وارتباطه بالحضارات والثقافات المتنوعة، ولئن لقيت في بداية عهدها بعض التعنت والمواجهة إلا أنَّ ثقافتنا العربية أثبتت مقدرتها على الانفتاح واستيعاب الحضارات والثقافات الأخرى وإن هذه الثقافات لا تضعف ثقافتنا، بل تزيدها تحصنًا وصلابة[37].

36. شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني ص 133-134.

37. المرجع نفسه 130 وما بعدها.

الفصل الأول

الفصل الأوّل: الشّعر والنّزعة الاجتماعيّة في ديوان ابن الرّوميّ

- **المبحث الأوّل :** الصّيّاغة الشّعريّة عند ابن الرّوميّ
- المطلب الأول : الشّعر
- المطلب الثّاني : مفهوم الشعر عند النقاد العرب القدماء
- المطلب الثّالث: الإبداع الشّعريّ ووظيفته
- المطلب الرّابع : تركيبة شعر ابن الرومي معنًى وشكلًا

- **المبحث الثّاني :** النّزعة الاجتماعيّة وابن الرّوميّ
- المطلب الأول : النّزعة الاجتماعيّة
- المطلب الثاني : النّزعة الاجتماعيّة عند ابن الرّوميّ

- **المبحث الثّالث :** الأغراض الشّعريّة عند ابن الرّوميّ
- المطلب الأول : الحياة الاجتماعيّة والأغراض
- المطلب الثاني : الوصف والمدح
- المطلب الثّالث : الهجاء والعتاب
- المطلب الرّابع : الرّثاء
- المطلب الخامس : الغزل

المبحث الأوّل : الصّيّاغة الشّعريّة عند ابن الرّوميّ

المطلب الأول : الشّعر

الشعر لغة قال الازهري : الشعر القريض المحمود بعلامات لا يجاوزها، والجمع أشعار، وقائله شاعر " لأنه يشعر ما لا يشعر غيره أي يعلم، وشعر الرجل يشعر شعرا شعر، وقيل : شعر قال الشعر وشعره أجاد الشعر، ورجل شاعر، والجمع شعراء، ويقال شعر فلان وشعر يشعر شعرا وشعرا وهو الاسم : وسمي شاعرا لفطنته[38] .

ويعرف الشعر على أنه من الفنون الجميلة التي سميها العرب الآداب الرفيعة : وهي الحفر والرسم والموسيقى والشعر هذا الاخير الذي يصور جمال الطبيعة بالخيال ويعبر عن اعجابنا بها وارتياحنا اليها بالألفاظ، فهو لغة النفس أو هو صورة ظاهرة لحقائق غير ظاهرة يعبر عن جمال الطبيعة بالألفاظ والمعاني .

أما علماء العروض من العرب يريدون بالشعر الكلام المقفى الموزون فيحرصون حدوده بالألفاظ، وهو تعريف للنظم لا للشعر وبينهما فرق كبير، إذ قد يكون الرجل شاعرا ولا يحسن النظم، وقد يكون ناظما وليس في نظمه شعر .

فإن كان الوزن والقافية يزيد العشر طلاوة ووقعا في النفس، فالنظم هو القالب الذي يسبك فيه الشعر ولا يجوز سبكه في النثر[39] .

المطلب الثاني : مفهوم الشعر عند النقاد العرب القدماء

أ)- ابن خلدون : و قد عرفه بقوله :

" الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله و ما بعده، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به "[40]

ب)- قدامة بن جعفر :

---

[38]- لسان العرب لابن منظور ن تحقيق عامر أحمد حيدر، مراجعة عبد المنعم خليل ابراهيم م محمد علي بيضون، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط 1، 2005 م، مج 3، ص 312-313 .

39- ينظر، تاريخ آداب اللغة العربية جرجي زيدان، الأنيس السلسلة الأدبية، اشراف مصطفى السواق موفر للنشر، الجزائر ، د ط، 2007، ج1، ص 87 .

1- عبد العزيز عتيق، في النقد الادبي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، د ت، ص 165 .

قد يكون أول من عرف الشعر تعريفا مدرسيا قائما تمثل المفاهيم تمثلا منطقيا وتحديدها بشيء من الدقة فقد ذهب في تعريفه إلى أنه " قول موزون مقفى يدل على معنى " .

ج)- ابن سلام الجمحي :

ولعل أهم نظرية خرج بها محمد بن سلام الجمحي وهو أقدم النقاد العرب أن : " للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصناعات : منها ما تثقفه العين : ومنها ما تثقفه الأذن ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان " .

د)- ابو عثمان الجاحظ :

يعرفه بقوله : " في اقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج، وجنس من التصوير "[41]

المطلب الثّالث : الإبداع الشّعريّ ووظيفته

إن ابن الرومي في أشعاره الشاعر المولّد والشاعر الغنائي الذي لجأ إلى الأشعار الموضوعية الوجدانية يعبر عن مصائبه، واستطاع أن يبدع فنونًا وجدانية محكمة، واستطاع أن يعكس صور التجديد بهذا الأسلوب القديم، الّذي وقع في صياغته وأسلوبه. ومهما يكن فإن الشعر حطّ رحالة في ساح العصر العباسي وقد تهرم وتثاقل وأعيت عليه حيلة الإبداع واستقرت معانيه وموضوعاته، فعمد الشاعر العباسي إلى التجديد أو إلى جهده بأسلوبين متقاربين متباعدين: أسلوب البديع له أسباب عديدة في أصل نشأته وتنوعت عليه الأقوال، إلاَّ إنَّ الباعث الأجدر يظل الترف الحضاري ومجتمع الوشي والتنميق والزخرفة. فوشح الألفاظ بالجناس وزاوج وعارض بينها بالطباق وتفرغ للتأمل بالمعاني، وكأنّها أداة داخلية خارجية وجعل يمازجها بعضًا ببعض، كما مازج الأشكال والألوان ولد منها ما حسبه معان جديدة[42]، وفي عصور الترف المادي تحول الشعر إلى أداة لَهو وزخرفة. إلاّ أن ضمير العصر كان يعاني أزمة أخرى مزيجة من التعاطي بين الفلسفة والدين، وكان المسلمون الأوَّلون قد أخذوا ابن البداوة النسبية وإن كان معظمهم قد نعم بترف الحضارة.

2- عبد المالك مرتاض، قضايا الشعريات، متابعة وتحليل الأهم قضايا الشعر المعاصر، دار القدس العربي، وهران، الجزائر، د ط ، د ت ، ص 37- 22- 25 .

42.ابن الرومي، علي بن عباس: الديوان شرح عمر فاروق الطباع، الطبعة الأولى، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1420هـ،ص 1781 .

يرى ابن الرومي أن لشعره وظيفة نفسية تبدد همومه وشعوره بالغبن، كما في قوله[43]:

إنْ مَنْ ساءه الزمان بشيءٍ لأَحَقُّ امرئٍ بأن يتســـــلى

أترى أن أسوءَ نفسيَ لــمّا ساءني الدهر لا لعمريَ كلا

وللشعر وظيفة اجتماعية عنده يؤديها من خلال" المديح لأنه يدعو إلىالمثل العليا، ويوطد أخلاقاً وأعرافاً اجتماعية من خلال نشرها وتمجيدها وتخليدها، يقول[44]:

والعرفُ أعجمُ حين يُولَى مُفْحَماً وبأن يُضَمَّنَ شَاعِراً إفصاحُه

وقد يكون للشعر وظيفة وقائية، إذ يذم السيئ فينّفر الناس منه، وبعضهم كالبخلاء مثلاً على البذل، يقول[45]:

سأمدح بعض الباخلين لعّله إن اطّرد المقياس أن يتسمحا

ويخّلد الشعر القيم الاجتماعية، لأنه نفسه خالد، ويبني الأمجاد ويحييها، وهنا تمتزج الوظيفتان الاجتماعية والفنية، وفي ذلك سمو بالفن والفّنان، يقول[46]:

أرى الشعر يُحْيي المجد والبأْس والندى تُبَقِّيهِ أرواحٌ لها عَطـــراتُ

وما المجد لولا الشِّعْرُ إلا مَعـــــــاهدٌ وما النَّاسُ إلا أعْظمٌ نَخِراتُ

كل شيء يزول في الدنيا ما عدا الفن، تلك هي رؤية ابن الرومي وكلّ شاعر حقيقي.

والوظيفة الثالثة، وهي الأهم، الوظيفة الفّنية، لأنها ترتبط بهوية الشعر أو الفن، ولأنها تتضمن أهم عنصر من عناصرها وهو" الخلود"، فالفن وحده يحمي الوجود من الاندثار، يقول[47]:

ثنائيَ لا تُسبَق إليه فإنه خُلودٌ لما تَبنِي وطولُ بقاءِ

والفن وحده يستطيع الخروج من إسار الزمن، كما في قوله:

مدحتُ منكم مُمَدَّحينَ على الـ ـدَهر أماديحَ تَقْدُم القِدما

والعنصر الثاني في وظيفة شعره الفّنية هو مخالفة المألوف، وهي مظهر من مظاهر تم رده الفّني وتجديده الشعري، يقول الصفدي" :وكان ابن الرومي ممن يخالف الناس، ويعكس القياس، فيذم الحسن، ويمدح القبيح، وهو القائل[48]:

---

43 . ديوان ابن الرومي. ج5. ص1785

44. المرجع نفسه ،ج2، ص530

45. المرجع نفسه ،ج2،ص520

46. المرجع نفسه، ج1، ص 391

1.المرجع نفسه ، ج1، ص 96.

2. المرجع نفسه، ج5، ص 2146.

في زخرفِ القول ترجيحٌ لقائــلهِ والحقُّ قد يعتريه بعضُ تغيــيرِ
تقول هذا مُجاجُ النحلِ تمـــــدحُهُ وإن تعِبْ قلت ذا قَيْء الزنابــير
مدحاً وذماً وما جاوزت وصفهما سحر البيان يُري الظلماء كالنور

ومعارضة الآخرين وقلب الحقائق دليل على رؤية جدلية نسبية، ومحاولة لإعادة ترتيب الحقائق وخلقها، وقد يأخذ ذلك صورة" كذب "مذموم يعترف به الشاعر ولكنه يوظِّفه في سياق هجائي، يقول[49]:

إذا ما مدحتُ المرءَ يوماً ولم يُثِبْ مديحي وحقُّ الشعرِ في الحكم واجبُ
كفاني هجائيهِ قيامي بمـــــــدحه خطيباً وقول الناس لي أنت كـــاذبُ

نخلص إلى القول إن رؤية ابن الرومي للفن كانت تعبيراً عن مدرسة التجديد في الشعر العباسي، لأنها أعطت الفن والفّنان أولوية الوجود، وجعلت منهما عنصري الخلود والبقاء، ولأول مرة - منذ أبي تمام - يصبح الفّنان المبدع سيدّا مطلقاً، يعيد ترتيب الوجود وفق قوانين الفن لا قوانين الحياة، فينتقم بذلك لوضعيته الاجتماعية التاريخية غير العادلة، التي جعلت منه بوقاً لأمجاد السلطان لا أكثر، وظلاً لأمجاد الآخرين، فخّلصته من دونيته، واستعاد الشاعر مكانته المقدسة، وتركت لصغار الشعراء الظلال والأبواق والصغار، ومهدت لظهور ذوي النفوس الأبية مثل المتنبي والمعري وغيرهما.

المطلب الرّابع : تركيبة شعر ابن الرومي معنًى وشكلًا

ويفكر ابن الرومي بالجزالة والرصانة وبعدم متانة في اللفظ، وقد يصف المعنى الجيد في العبارة الجيدة، ولم يسرف في المحسنات اللفظية[50]. وجدير بالذكر إلى أن يترك ابن الرومي نفسه على سجيتها ليصور أحاسيسه والعواطف الصادقة وكان فكره الدقيق وما انطبع في عقله من طوابع الثقافة والفلسفة حريًّا به أن يصبح من أصحاب مذهب التصنيع. لكن ابن الرومي في أسلوبه لإنشاد الشعر فقد دفعته الفلسفة إلى تحليل المعاني تحليلاً مستقصيًا، حتى لكأنه يريد حين يلم بمعنى ألاّ يترك فيه بقية لأحد يأتي بعده، وهو تحليل يُشفَعُ بالأدلة والأقيسة المنطقية، بحيث تتلاحم الأبيات في القصيدة تلاحمًا وثيقًا، وكل بيت يسلم إلى تاليه، بل يدخل في تكوينه وتشكيله، وفي تضاعيف ذلك يستقصي ابن الرومي جوانب المعنى الّذي يريد أن يعرضه إلى أبعد غاية ممكنة، مسترسلاً ما وسعه الاسترسال،

3.المرجع نفسه،ج1، ص 150.
50. جنيدى، عاصم: طائر غرّد خارج سربه، الطبعة الأولى، دار الميسرة، بيروت،1933م.

مما جعل القصيدة تطول طولاً مسرفًا، إذا امتدت إلى مئات الأبيات، وهو امتداد يشهد بقدرته البارعة على التعمق والنفوذ إلى أقصى الأغوار وكان يضيف إلى ذلك حسًّا مرهفًا حادًّا، جعله يجسِّد لا عناصر الطبيعة فحسب، بل أيضًا الخوالج والخواطر على نحو ما هو مشهور من حواره في أشعاره[51].

يتميز ابن الرومي عن غيره من الشعراء بخصائص فنية، وجعلت منه فريدًا في الخصائص الشعرية. ويُعدُّ ابن الرومي من الشعراء الَّذين كان لهم إسهاماتهم في الفن الشعري في العصر العباسي. وكما نرى، فإن الصور الفنية والوسائل الشعرية اللغوية تتوامض مزدحمة في القصيدة، وقد حشد في مشاهده عدة حواس: البصر والسمع والإحساس الداخلي، ليتركنا نحيط بالمشهد الشعري من جميع جوانبه وبأكبر قدر من الانفعال.

مقدمة القصيدة هي الباب الذي نعبر منه إلى رحابها، وهي الهطول الشعري الأول والمكّثف الذي يعطي الانطباع الأولي عن القصيدة والشاعر أيضاً، وهي الأقرب إلى ساحة اللاشعور حتى لتكاد تكون فيضاً مباشراً منه، ودراسة مقدمة القصيدة تتيح لنا الإمساك بكثير من الأسرار النفسية والفنية في القصيدة، وقلما اهتم النقد العربي بمثل هذه الدراسات، ونذكر هنا كتاب الدكتور حسين عطوان" مقدمة القصيدة العربية"، وهو محاولة رائدة في هذا المجال. وقد سادت المقدمة الطللية في العصر الجاهلي وصدر الإسلام والعصر الأموي، واستمرت في بعض القصائد العباسية، وثار أبو نواس على هذه المقدمة التقليدية، واستبدل بها مقدمة خمرية في موقف يقوم على الانحياز إلى الحضارة والحياة الجديدة، حاطاً من شأن المقلدين للسلف الشعري، وفتح الباب على مصراعيه أمام الشعراء لينوعوا في مقدماتهم، فاتخذ العباسيون صوراً مختلفة لها، كوصف الطبيعة أو الخمرة أو الحكمة أو وصف الليل والهموم والشيب...وابن الرومي ينحو في مقدمات قصائده منحيين :الأول تقليدي يسير فيه على سنن من سبقه من الشعراء، والثاني جديد مبتكر .أما موقفه من الوقوف على الأطلال فهو موقف نواسي صريح، ولكنه حين يقف على الأطلال لا يقصر

51 . الحاوي، إيليا : ابن الرومي فَنَّه ونفسيته من خلال شعره، لا ط، دار الكتاب اللبناني، 1980م.

في إعمال مَلكته الفنية في ابتكار المعاني، إذ يرى من العبث سؤال الديار والبكاء فيها لأسباب نفسية، كقوله[52]:

طُلَّ دمعٌ هُريق في الأطـلالِ بعد إقوائها من الحُـــــلّالِ

ليسَ تُجدي على المُسائلِ دارٌ غيرَ هيجِ السقامِ بعد اندمالِ

ويقول أيضاً[53]:

لم يُبكني رسمُ منزلٍ طسما بل صاحبٌ حال عهدُهُ حُلما

ومن عناصر المقدمة الطللية" الرحلة"، وهو يقف منها موقفاً نواسياً أيضاً، فيدعو إلى اللجوء إلى الخمرة بديلاً نفسياً وفنياً:

دعِ الأجمالَ مُرتَحِلَهْ تَخُبُّ بركبها عَجِلَهْ

وعاطِ أخاك عاتقةً بقَارِ الدَّنّ مشتملَهْ

ولكن ابن الرومي - كما هو شأن أبي نواس - استخدم المقدمة الطللية في شعره أحياناً، وقد أضاف إليها وطورها، وابتكر فيها المعاني الطريفة.

وللقصائد عند ابن الرومي ثلاثة أنماط من حيث المقدمات :قصيدة بلا مقدمة تبلغ نسبتها نحو 80% ، فهو النمط الغالب على شعره، وهذا مظهر بارز في تجديده الشكلي، وهو ما يعكس تكوينه النفسي المتوتر، إذ تراه يفضل القصد إلى موضوعه مباشرة لشدة إلحاحه عليه، حتى لا يكاد يطيق صبراً على الوقوف للتمهيد لقصيدته.

وأما النمط الثاني فهو القصيدة ذات المقدمة القصيرة، فقد تبلغ بيتاً واحداً أو تتجاوز عشرة الأبيات بقليل، وهي تع□بر غالباً عن حالة شعورية حادة، وتكثر في مواقف الحزن والغضب والعتاب.

والنمط الثالث هو القصيدة ذات المقدمة الطويلة، والمقدمة الطويلة ظاهرة بارزة في شعر ابن الرومي، وهي إحدى ميزاته التي تف □ رد بها بين شعراء العربية، وطول المقدمة يسرف جداً حتى تتجاوز المئة بيت في عدد من القصائد، ويعود سبب طول المق□دمة إلى أنها تأخذ غالباً شكل التأملات والخواطر الفلسفية، وهذا ما يجعل ابن

52 . ديوان ابن الرومي. ج5. ص 2045

53. ديوان ابن الرومي. ج5. ص 2135

الرومي يعرض عدته الفلسفية وبراعته المنطقية، فتنداح المقدمة موجة إثر موجة، وتتداعى الأفكار وتتشعب وتتنامى.54

المبحث الثّاني : النّزعة الاجتماعيّة وابن الرّوميّ

المطلب الأول : النّزعة الاجتماعيّة

تتجلى النّزعة الاجتماعية من خلال الاهتمام الاجتماعي الذي يظهر في علاقة الفرد بالآخرين، حيث لا يستطيع أي من الأفراد أن ينفصل كليا عن المجتمع وعن الالتزامات نحو هذا المجتمع.

أكد **أدلر ADLARE** على أنّ النزعة الاجتماعية هي التّعويض الحقيقي عما يعانيه أفراد الجنس البشري من ضعف طبيعي، فبفضل الجماعة أنجب هذا الكائن البشري وبفضل انتمائه لجماعة بقي على قيد الحياة ونما في رفاهية. هذا يصبح دينا في عنق الكائن البشري يتوجب عليه تسديده والشعور بالمسؤولية تجاه الجماعة التي أنجبته وربته ورعته حتى رشده.

لذا توجب على الفرد أن يوجّه كفاحه من أجل الاكتمال في خدمة الجماعة ولا يحصرها في خدمة ذاته. هنا يحل الخروج من الذات والتفتح على الجماعة محل الطموح الشخصي المتمركز على الذات، ويحل الإيثار محل الأنانية. بالعمل من أجل الصالح العام يعوض الإنسان ضعفه ويسدد دينه. وعليه سنسعى إلى إبراز أهمية النزعة الاجتماعية عند ابن الرّوميّ كدافع أساسي للمسؤولية الاجتماعية.

استقلال الفرد في الإنسان حقيقة موجودة غير منكرة وأن خصائص هذه الميزة وكيانه الذاتي أمر واقعي، ولكن للإنسان طبيعة تتحكم فيه، ولديه ميول عديدة تجعله يتجه بميل خاص نحو غيره ممن الأفراد الآخرين وهو ما يرف بالميل الاجتماعي، أي ينزع الإنسان دائما للاجتماع بغيره من البشر وأن يتصل بهم ويقيم علاقات اجتماعية وروابط معهم. وهذا الذي عبر عنه العلامة ابن خلدون في مقدمته بقوله: (إن الاجتماع الإنساني ضروري ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم: الإنسان مدني بالطبع أي لابد له من الاجتماع الذي هو المدنية في

1. ركان الصدفي – ابن الرومي الشاعر المجدد – مطابع وزارة الثقافة الهيئة السورية للكتاب – ط1 ص179…181

اصطلاحهم وهو العمران)، والمقصود من مفهوم اجتماعي ليس إنسانا منفردا أو منعزلا او قدرات عضلية او غرائزي ، وإنما المقصود به بشر متفاعلون ،وبينهم علاقات ومخرجات لهذه العلاقات...، والإنسان محتاج لبني جنسه لسد حاجاته الطبيعية ومعاونته علي ضروريات الحياة، فباشتراكه مع بقية الإفراد ينتج عنها وجود مشترك نسميه الوجود الاجتماعي.

والوجود الاجتماعي هو الذي أوجد بدوره الحضارات الكبيرة السابقة فلولا النّزعة الاجتماعية عند الإنسان لما قامت مدينة ولم يكن هناك عمران.

ويقول العلامة الطباطبائي: (كون النوع الإنساني نوعاً اجتماعياً لا يحتاج في إثباته إلى كثير بحث، فكل فرد من هذا النوع مفطور على ذلك، ولم يزل الإنسان يعيش في حال الاجتماع على ما يحكيه التأريخ والآثار المشهودة الحاكية لأقدم العهود التي كان هذا النوع يعيش فيها ويحكم على هذه الأرض)

النّزعة الاجتماعيّة إيجابية في حياة الإنسان، وهي تفاعل الإنسان مع الحياة، يدركها وتدفعه إلي إدراكها ويعمل فيها وتملي عليه العمل فيها، وهي عدم انصراف الإنسان عن واقع حياته، وهي تخير الإنسان الطريق الذي يمارس به شأن الحياة، ويواجه به أحداث الحياة، وكذلك السعي لصالح نفسه وحياته ووجوده، فإذن فهو ابن بيئته.

كما أكد علماء النفس وجود الروح الاجتماعية في الإنسان وإن اختلفوا هل هذا الميل فطري، أو مكتسب، إلا أنَّ نظرية الاكتساب لم تثبت أمام النقد، فهذا (مكدوجل) وغيره يرى أن الدافع الاجتماعي دافع فطري، وأن الإنسان حيوان اجتماعي بطبعه، يميل إلى العيش في جماعات، وإلى الاجتماع ببني جنسه، والاشتراك معهم في أوجه نشاطاتهم، ويشعر بالوحشة والضيق إن حيل بينه وبين ذلك.

وعلى كل حال فإنَّ الإنسان اجتماعي بطبعه، لا يستطيع أن يكتفي ذاتياً في سد حاجاته المادية، ولا قدرة له على الوحدة، فهي أثقل شيء عليه، وبها يكون في غاية الوحشة، بل يستحيل استمرار وجوده بدون الاجتماع إذن الاجتماع ضرورة لسعادة الإنسان، وشرط في استمرار وجوده، فهو يستأنس بوجود أبناء جنسه وَيُقوِّم حياته فيهم من جميع نواحيها المادية والمعنوية.

وخلاصة الكلام: لا يمكن للإنسان أن يعتزل الجماعة، ويعيش وحده وهذه حاجة ذاتية - كما أسلفنا - ويمكن ذكر جملة من الأسباب لذلك، منها:

1- لأنَّه لا يستطيع تحقيق لوازم حياته الأساسية بدون جماعة.

2- من خلال انضوائه للمجتمع يحس بالأمان، والأهمية، والارتباط، وبدون ذلك لا يجد الإنسان معنى لحياته.

3- إنَّ المجتمع يهيئ للإنسان فرص النمو، والتكامل النفسي، والفكري، والمهني، وبذلك يسد حاجاته من خلال المجتمع، ويستمر وجوده بهم، وتلك حكمة الله في خلقه حيث فطرهم على روح التجمع، وما أجمل ما يقوله فيلسوف الرومان شيشرون: >لو أن الآلهة رفعت إنساناً من بين قومه ووضعته في روض أريض بعيداً عن منازل الناس، وجعلت تحت أمره الشيء الكثير من كل ما تشتهيه النفس ويسر الخاطر، ثم حتمت عليه أن لا يرى بشراً، ولا يساكن إنساناً لتخيَّر الفقر المدقع بين قومه على نعيم مقيم لا يكلم فيه إنساناً< وقال آخر: (لو أن إنساناً صعد إلى السماء، وشاهد من هنالك عجائب الأرض وجمال الكواكب لتبرم، وضاق صدره؛ لأنَّه لم يجد من الناس من يخبره بما شاهد من عجائب الأرض وبدائع السماوات) ويقول أبو العلاء المعري[55]:

ولو أني حُبيتُ الخلد فرداً لما أحببت في الخلد انفرادا

وقد انتبه إلى هذه الحقيقةِ الطغاةُ عِبْرَ التأريخ؛ ولذا نراهم إذا أرادوا أن يعذبوا إنساناً، ويحطموا نفسيته عزلوه في سجن انفرادي؛ ليشعروه بالوحشة، والوحشة قاتلة لروح الإنسان.

النزعة الاجتماعية إذن هي عملية تعلم وتعليم وتربية، تقوم على التفاعل الاجتماعي وتهدف إلى إكساب الفرد (طفلاً فمراهقاً فراشداً فشيخاً) سلوكاً ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة، تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعي معها، وتكسبه الطابع الاجتماعي، وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية.

المطلب الثاني : النّزعة الاجتماعيّة عند ابن الرّوميّ

وهذه الدراسة تتميز باعتمادها للدراسة المضمونية إذ تعني بتتبع الجانب الاجتماعي في حياة ابن الرومي وبصفة خاصة "النزعة الاجتماعية"

55. الموسوعة الشعرية نسخة الإمارات ، ديوان البحتري www.cultural.ae

وعند ابن الرومي النزعة الاجتماعية هي التي تدفعه إلى صف الجماعة وحضن المجتمع، لأن الله تعالى جعل بحكمته حاجة الفرد إلى الفرد، كحاجة العضو إلى العضو في الجسد الواحد، ويفهم هذا إذا علم أن سلوك الفرد ورغباته كالحب والوفاء والتميز والفخر، لابد لها من محيط اجتماعي تمارس فيه. وحيثما وجد تجمع إنساني برزت ــ بلا شك ــ روابط اجتماعية وصلات (وهي عبارة عن فكر وسلوك) تنمو وتعمل في ظل التفاعل الاجتماعي بين الأفراد. قال ابن الرومي[56]:

نبني المعاقلَ والأعداءُ كامنةٌ فينا بكل طرير الحَدّ مـــــسنون
ونَجمعُ المالَ نرجو أن يُخَلِّدنا وقد أبىَ قبلنا تخليدَ قـــــــارون
نظل نَسْتَنْفِقُ الأعمارَ طيّــبِةً عنها النفوسُ ولا نسخو بماعون

ويرى بعض الباحثين أن هذه الروابط منها ما هو علاقات اجتماعية، مثل الصداقة والمصاهرة، ومنها ما هو عمليات اجتماعية أشد تعقيداً من سابقتها، مثل الجوار والصراع. ومنهم من يقسم هذه الروابط إلى فطرية كالقرابة، وإلى مكتسبة كالجوار.

وعلى كل، فهي ظواهر نمت في ظل الاجتماع وتولدت منه بسبب شعور كل فرد بحاجته إلى التعاون مع الآخرين والارتباط بهم تحقيقاً للمصالح المشتركة، وهو ما كشف عنه رائد علم الاجتماع ابن خلدون في مقدمته بقوله: (إن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته، فلا بد من اجتماع القدر الكبير من أبناء جنسه).

يجدر بنا أن نذكر في هذا المقام تميز المجتمع الإسلامي عن غيره في مجال الروابط الاجتماعية، فهو وإن أقر كثيراً من الروابط ورعاها حق رعايتها، إلاَّ أنه جعل الرابطة العظمى والعروة الوثقى هي العقيدة وما يفيض عنها من تشريعات وهدايات، لأنها المرجعية الأولى والعليا لأبناء المجتمع الإسلامي في كل ما يصدر عنهم من سلوك وتصرفات فكان للعقيدة والحالة هذه دور ظاهر في إيجاد روابط اجتماعية، وفي تهذيب روابط أخرى كان قد أقرها العرف من قبل.

نحن أولو العزِّ الذي لا يُنتهكْ طال سنامُ المجد فينا وتمكْ[57]

المبحث الثّالث : الأغراض الشّعريّة في ديوان ابن الرّوميّ

56. الموسوعة الشعرية نسخة الإمارات ، ديوان البحتري، المرجع السابق.
57 . ديوان ابن الرومي 2002م، ج3 ص 172.

المطلب الأوّل : الحياة الاجتماعيّة والأغراض

كان المجتمع الإسلامي في القرن الثالث يعيش تناقضات حادة، فمن الناحية الاجتماعية تكون مزيج عرقي جديد من جراء اختلاط الشعوب في المدن الكبرى، ولاسيما في بغداد، وكان التمازج الحضاري هذا سبباً في تمازج ثقافي واجتماعي شديد.

بذر الأمويون حب العنصرية القومية التي امتدت حتي انقطعت حبالها بتقلص ظلهم في عهد بني العباس الذين لم يأمنوا العرب على أمورهم فليس لهم إلا التمكين لحلفائهم الفرس حماة دولتهم.

نقل هؤلاء الفرس عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم وإزاء النفوذ الغالب للتقاليد الفارسية انسربت الى جسم المركز الخلافي عادات الأمم الأخرى وكانت معدة بغداد جبارة هضمت كل ذلك التركيب العجيب[58]، ثم ظهر أدب جديد على لسان الجواري المثقفات لم تعرفه العرب قبلا[59] كما ظهر أدب الزهد والعزوف عن الدنيا ردًا على الأدب الماجن ، ونشأ فن الرقص فوضعوا له الأصول والقواعد وانغمس الناس في الترف غافلين عن تهاوي فئات كثيرة من الشعب في درك الفقر والعوز أشار الي ذلك ابن الرومي في قصيدته البائية يقول:

لا يراني أهلاً لِملْكِ الظَّهاري ولا موضعَ العطايا الرِّغــابِ
أتُراني دون الأُلى بلــغوا الآ مالَ من شُرطةٍ ومن كُتــّابِ
وتِجارٍ مثل البهائمِ فـــــازوا بالمنى في النفوس والأحبابِ
ليس فيهم مُدافعٌ عن حـــريمٍ لا ولا قائمٌ بصدر كـــــتابِ[60]

لقد كان ابن الرومي ترجمانًا عن العصر ، لسانًا للمجتمع ، ذلك المجتمع المضطرب المتفاوت ينتظر ربانًا ليقود السفينة إلى شواطيء الاستقرار. وقد جعلوا للغناء والرقص مجالس أسهم فيها الشعراء والعلماء والأدباء بكل فنٍ مستطرف وبديع متطرف فلا تدري ! أهي مجالس شراب عقدت من أجل الفن والأدب أم مجالس فنٍ وأدب كانت من اجل الشراب !.وكان لهذه المجالس ملابسها الخاصة يسمونها ثياب المنادمة وهي أثواب مصبغة بالألوان الزاهية يصقلونها حتى تلمع وتشرق، يعطرونها بالطيب ويزينونها بنسيج الذهب[61]

58.علي شلق ، ابن الرومي في الصورة والوجود ، دار النشر للجامعيين ، الطبقة الأولى 1960 م.

2. الإمام أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل ، تحقيق . :محمد احمد الدالي، مؤسسة الرسالة ، ج 2 ، ص 279 .

60.ابن الرومي ، الديوان ، ج1 ، ص 316 .

61. جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، ج 5 ، ص

ثم يتذاكرون آداب العرب، وأخبار الأمم، وألوان الأدب وخليطًا من الفنون وقد كان لكل خليفة ندماء يصطفيهم من خاصته ونوابغ عصره يجالسونه في أوقات أنسه ويروحون عنه في ساعات قلقه وأرقه[62]، وأسرفوا في الطعام وتفننوا في ألوانه واهتم به الخلفاء وكان المكتفي يطلب إلى الشعراء أن يصفوا له بعض أنواع الطعام وأن يقولوا الشعر في الشراب ويتبادل مع ندمائه الطرف والفكاهات. لقد كان الترك صارفين همهم إلى الغنائم والأسلاب ، لذلك أفقروا خزانة الخلافة ولم يكن يطيب لهم إلا أطايب البدن وهذه تقتضي كثير انفاق فصفرت بيوت المال وسلط الأتراك سيوفهم على الخلفاء الذين كانوا شركائهم في الترف والاستهتار وأصبح الخليفة يصادر ممتلكات أقرب الناس إليه ليسد عجز الخزانة لذلك وصلت الرشوة والسرقة إلي مدى لم تعرفه من قبل وأصبحت الإقطاعات تتأرجح صعودًا وهبوطًا[63].

والإقطاع كما يقول العقاد :نظام معيب ولكنه يبقى مستور العيب ما بقيت الدولة وسطوة القائمين عليها فإذا ضعفت وضعفوا فهو الشر المستطير يسقى به الحاكم والمحكوم وينخر في أركان الملك فلا يدعه إلا وهو مفكك الأجزاء معتوه بأسباب الفناء[64] وكان الإقطاع متفشيًا ولم يكن مقصورًا على أجزاء من أرض الولاية الواحدة بل يشمل ولاية برمتها ، على أن يؤدى إلي دار الخلافة مبلغًا من المال عدا الهدايا والتحف[65] وفازت طبقات بالثراء الفاحش وتكدست في خزائنهم الأموال فأخذوا يهتمون بإقامة القصور وزراعة البساتين الفواحة الشذي وبين يديها أحواض السباحة وحدائق الحيوان فنجد أن المتوكل قد بنى عددًا كبيرًا من القصور منها البركة، الوحيد، والبهو، والقلائد، والتل، والمختار، والبرج وغيرها[66] ومن قصور المعتز الساج، والكامل، ومن قصور المعتمد المشوق، والأحمدي ، والمعشوق[67]، وكان المعتضد وابنه المكتفي محبين للعمارة فبدأ أولهما في بغداد بناء قصر" التاج "وأتمه الثاني وقد أدار حوله سورًا واتخذوا حوله المنازه والدور كما بنى المعتضد قصر الثريا5) فكم تكلف تلك الأبنية ومن أين تجد الأموال

---

2. حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي، ج 3 ، ص 41662

3. جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، ج 5 ، ص 158 ، حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي ، ج 3 ، ص 63 .416

64.عباس محمود العقاد، ابن الرومي – حياته من شعره ، دار الكتاب العربي، بيروت ، الطبعة السادسة ، 1967 ، ص 22

65. حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي ، ص (296

66. يونس السامرائي ، سامراء في أدب القرن الثالث الهجري ، مطبعة الإرشاد ، بغداد 1968 ، ص(134

6. المصدر نفسه ص272 .

الطائلة التي تسمح لها بالفخامة والضخامة والسعة والتعدد؟ إنه الإقطاع الذي رفع طوائف معدودة وطحن أخرى كثيرة عليها أن تعمل ولا تكاد تحصل على قوت يمسك رمقها إذ تذهب ثمار أعمالها إلى المتهافتين على جمع المال فخربت الأرض وعمّ السخط ولجأ الخلفاء لإغتيال الولاة وشاع الاختلاس ولم يكن لأصحاب الاقطاع ه□م إلا الثراء وجمع الأموال فلم يترددوا في إرهاق الأهالي وإثقالهم بالضرائب حتى يستطيع هؤلاء الإقطاعيون أن يؤدوا إلى الحكومة ما عليهم من مال ثم يحتفظوا بما زاد لأنفسهم. وقّلما تصل شكاة هؤلاء المزهقين المطحونين إلى السلطة المركزية ، فضلا عما يسلكه بعض الجباة من أنواع الخداع وألوان التعذيب وندهش لثروة نساء الخلفاء في النصف الثاني من القرن الثالث !يكنزن الأموال وبيت المال فارغ.

لقد قدرت ثروة قبيحة أم المعتز بأربعة ملايين ما بين نقود وسبائك الذهب والفضة والزمرد واللؤلؤ والياقوت وقد عجز ابنها عن دفع أعطيات الجند التي لم تتجاوز خمسة ألف دينار وأبت أن تدفعها إليه لتنقذ حياته وتفديه من القتل وعلى نحو ذلك كانت أم المستعين وأم المقتدر وكان راتب الوزير ألف دينار شهريًا ويلحق بهذه الطبقة المترفة رجال الدولة وأرباب البيوتات وأتباعهم من الجند والأعوان والموالي والخدم وإلى جانب هاتين الطبقتين كانت هناك طبقة كادحة تمثل السواد الأعظم من الأمة .وفيهم الزراع والصناع والتجار والباعة والرعاع وطالما تعرض هؤلاء أثناء الفتن إلى مهاجمة منازلهم وحوانيتهم[68].

وعمل قام به المعتز له دلالته القوية على معاناة هذه الطبقات لقد أمر بإرسال الكتب إلى جميع العمال في النواحي والأمصار بترك افتتاح الخراج في النيروز الذي هو نيروز العجم وتأخير ذلك الي اليوم الحادي عشر من حزيران - يونية - وسمي ذلك بالنيروز المعتضدي .أراد بذلك الترفيه عن الناس والرفق بهم[69] وكذلك ونتيجة لهذه السياسات قامت الكثير من الثورات والمنازعات بين الطوائف والفرق والأحزاب وقد قضى على بعضها في مهدها وتيسر لبعضها الآخر البقاء مدة قد تطول أو تقصر حسب ما تضم من عدد وعدة وبرزت من بين هذه الثورات في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري :ثورة الزنج والخوارج والقرامطة وثورات الانفصال عن بغداد وغيرها. لقد كان العباسيون في غاية

68. ابن الأثير ، الكامل ، ج 2 ، ص 244 ، ابن الاثير، الكامل ج9 ص145.

69. ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج 6 ، ص 78 ، حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي، ج3، ص430.

القلق من هذه الثورات التي ستؤدي حتمًا إلى تقويض بناء الدولة وأنه لابد من قتل كل من حامت حوله شبهة ، ولم تكون القوة دائمًا هي الوسيلة التي لجأ إليها الخلفاء لمقابلة الثورات والانتفاضات بل كثيرًا ما لجأوا إلي سلاح آخر هو سلاح المؤامرة والتدبير. يقول العقاد عن القرن الثالث الهجري :وكانت الدولة في إبانه أشبه بالمرج الأخضر الذي ينمو فيه الحب والفاكهة والشوك والعشب المسموم .خضرة زاهية فيها الغذاء والسم يختلطان اختلاطًا لا سبيل فيه إلي التنقية والتمييز[70]، وفي ذلك العهد بلغ التنكيل والتبشيع في بعض حوادث الفتك مبلغًا لا حرمة معها لشرع ولا دين ولا مروءة[71].

هذه صورة للحياة الاجتماعية في العهد العباسي الذي فرض نفسه على التاريخ فسجل له النصر والبقاء.

شاعرية ابن الرومي تختلف عن شاعرية مختلف الشعراء العرب في أنه كان لا يعير الصياغة اللفظية والأسلوب التعبيري.

الاهتمام الذي كان يعيره للعمل العقلي وللمعنى العميق الدقيق ومن هنا أنه ضحى بالإجادة البيانية في كثير من الأحيان في سبيل استكمال الصورة التي يصف أو الشعور الذي ينم شعره عنه أو العاطفة التي تفعم فوائده.

وانك عبثا تبحث عن موضوع يتميز به شعر ابن الرومي فالحيرة تقف أمام مقدرتك على التمييز لأن ابن الرومي كما قال شفيق النقاش قد أجاد الوصف والتصوير إجادة لم يسبقه إليها شاعر وبرع في الهجاء حتى غدا س يد شعراء في الأدب العربي ورثى أبناءه وغير أبنائه رثاء يصور أعمق آلام النفس وأصدقها وكان أقدر شعراء عصره على العتاب بأسلوب ناعم عميق ولعلنا لا نجد شاع ا ر في الأدب العربي يثبت أمامه في التحليل النفسي وتصوير المجتمع.

واذا كانت هناك فنون لم يبلغ فيها شأو الشعراء كالمدح والخمريات والفخر فإن طبيعته لم تكن تساعد على ذلك ولقد تعرض ابن الرومي لموضوعات ليست جديدة في الأدب العربي.

إذن ابن الرومي شارع مجدد بكل ما في التجديد من معنى لقد انطلقت شاعريته في الآفاق التي أحبتها لم تقيد نفسها بأغراض رتيبة تعاهدها الشع راء فما حادوا عن سبيلها ولا

70 .عباس محمود العقاد، ابن الرومي حياته من شعره، ص 14.

وجدوا لأنفسهم منها فكاكا واذا كانت دارستنا المنهجية تقتضينا الوقوف عند أغراض نبحثها بالتفصيل وهي : الوصف والمدح والهجاء والسخرية والرثاء.

المطلب الثّاني : الوصف والمدح

ابن الرومي استخدم الوصف استخداما واسعا في شعره تمثل به نفسه وحبه للطبيعة ومظاهرها المختلفة في جو رومانسي يزيده جمالا خياله الفياض واحساسه المرهف .فكان وصافا يقظ الشعور دقيق الملاحظة شديد الانتباه يسير الأغوار ويتحدى الاندماج في الموضوع الوصفي بمقارنة الواقع الموصوف بمشاعره وأحاسيسه ويتعمق في وصف الأشياء وتصويرها تصوي ا ر بارعا، هذه الملكة الفنية جعلته يغرق في ملاحظة دقائق الاشياء، ويتتبع كل تفاعلات الطبيعة ومظاهرها المختلفة ويتفاعل مع كل حركة وهمسة وبسمة .ويخاطبها كأنها انسان له جوارح وأحاسيس وانفعالات ويلجأ إلى تشخيصها واخرجها في قالب فني بديع.

قال المعري في رسالة الغفران[72]: أمَّا ابن الرومي فهو أحد من يقال: إن أدبه كان أكثر من عقله. ومن خصائصه الَّتي انتسب بها، أغراضه الشعرية المتنوعة: من وصف و هجاء و رثاء و مدح وغزل وفخر وعتاب. فالوصف عنده من أبرز ميزاته يعرف بها، فقد كان وصافًا بارزًا ومتصورًا، وقد دخل الوصف في جميع أغراضه الشعرية، وكانت للوصف غلبة في الشعر العباسي، إذ توسّع الشعراء فيه فتفننوا في وصف المشاهد فوصفوا الطبيعة والرياض والأزهار والأنهار والطير والحيوان، بل راح الشعراء يصفون كل ما تقع أعينهم عليه، فهذا أبو تمّام مثلاً على عادة الشعراء العباسيين الذين أكثروا من وصف الأمطار والسحب، يصف لنا سحابة ممطرة بقوله :

ديمَةٌ سَمحَةُ القِيادِ سَكـــــوبُ مُستَغيثٌ بِها الثَرى المَكروبُ

لَو سَعَت بُقعَةٌ لِإِعظامِ نُعمى لَسَعى نَحوَها المَكانُ الجَديبُ

محبة الوطن نالت قسطا من وصف ابن الرومي بدل هجاء جاره الذي نازعه جاره على بيته وأخذه منه؛ فقال في ذلك شعرًا رائقًا وطلب نجدة أبي الصّقر ابن بلبل:

ولي وطنٌ آليتُ ألا أبيـــــــعهُ وألا أرى غيري له الدهر ساكنا

72. ضيف شوقي: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، لا ط، دار المعارف، مصر، 1960م.

عهدِتُ به شرخَ الشبابِ ونِعْمَةً كنِعمَةِ قومٍ أصبحوا في ظـــلالِكا
قد ألفته النفسُ حتى كـــــــأنه لها جسدٌ إن بانَ غُـودِرْتُ هالِكا
وحبَّبَ أوطانَ الرجالِ إليـــــهِمُ مآرِبُ قضاها الشبابُ هنـــالِكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكـــــــرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لـــــذلكا
وقد ضامني فيه لئيمٌ وعـــــزَّني وها أنا منه مُعْصِمٌ بحـــــبالِكا

لم يساعده ابن بلبل في محنته؛ فتضاعف شعوره بالوحدة وزادت كراهيته للحياة، وأطلق لسانه يسب الشعراء ويهجوهم ومنهم البحتري ونشير إلى ذلك في المطلب الثّالث.

وصف المأكل: يشير عباس محمود العقاد إليه، ويقول: كان ابن الرومي منهومًا في المأكل ولعل عيشه بين الثروة والفقر ميل إلى وصف المآكل.

وصف الطبيعة: الطبيعة بالنسبة إليه وسيلة للهروب من الواقع المأساوي الَّذي عاشه في حياته. فإذا بها تصبح انعكاسًا لذات الشاعر، فكأنهما ممتزجان قلبًا وروحًا، شكلاً ومضمونًا.

الوصف الكاريكاتوري الساخر[73]: هذا النوع من الوصف يُخَالف طبيعة الوصف النقلي أو الوجداني، يختص هذا النوع من الوصف بطبيعة خاصة تعني بالتشويه وإثارة الشعور بالمنكر. وقد كان لابن الرومي عصب خاص يحس به مظاهر النقص. ولعل شعوره الدائم بالعاهة وبجوانب الأمور، يَعبث به، و يضحك منه و يزدريه.

وأصل الوصف الكشف والإظهار، وأبلغ الوصف ما قلب السّمع بصرًا كقول ابن الرّوميّ في وصف ثوب نمّ عليه الجسم ولم يستره:

إذا وصفتْ ما فوق مجرى وشاحِها غلائلُها رَدَّتْ شهادتَها الأُزْرُ

كما قد يكون الوصف نفسيًّا ليس حسيًّا كما اعتدناه مباشرًا كقول ابن الرّوميّ:

كل الخلال التي فيكم محاسنكم تشابهت منكم الأخلاق والخـــلقُ
كأنكم شجر الأترج طاب معًـــا حملًا ونورًا وطاب العود والورقُ

وقف ابن الرّومي وصفه على أصناف النّاس من المجتمع إذ وصف قصير القامة قائلًا:

وقصير تراه فوق يَـــــــفاعٍ فتراهُ كأنهُ في غَـــــــــــيَابَهْ
لم تدعْ قَفْدَهُ يدُ الـــــدهر حتى قَمَعَتْ فيه طُولَهُ وشبـــــــــابَهْ
وجَلتْ رأسَهُ نِعمّا فأضـــــحى بارزَ الصرحِ ما يُوارى صُـوْابَهْ

73. العقاد، عباس محمود: ابن الرومي حياته وشعره، شركة سماحة المصرية، مصر، 1964م.

يا أبا حفصٍ الذي فَطِنَ الـــــدهْ رُ لميدان رأسهِ فاستطـــــــــابَهْ

ظَرُف الدهرُ في اتخاذك صَفْعا ناً وما خلْتُهُ ظريفَ الدُّعـــــــابَهْ[74]

استفحل أمر اللهو واللاهين في المجتمع العباسي بعد تثبيت أركان الدولة العباسية ، وتحولت الحياة الاجتماعية من طور الجد والكفاح إلى طور آخر يتناسب مع تلك الحياة الناعمة والمترفة اللاهية وساعد على ذلك كما جاء في الحيوان للجاحظ تغلغل العناصر الفارسية في هذه الحياة وما جلبته من أدوات لهو ومجون[75]

لقد كان ابن الرومي ترجمانًا عن العصر ، لسانًا للمجتمع ، ذلك المجتمع المضطرب المتفاوت ينتظر ربانًا ليقود السفينة إلى شواطئ الاستقرار.

وقد جعلوا للغناء والرقص مجالس أسهم فيها الشعراء والعلماء والأدباء بكل فنٍ مستطرف وبديع متطرف فلا تدري !أهي مجالس شراب عقدت من أجل الفن والأدب أم مجالس فنٍ وأدب كانت من أجل الشراب !.وكان لهذه المجالس ملابسها الخاصة يسمونها ثياب المنادمة وهي أثواب مصبغة بالألوان الزاهية يصقلونها حتى تلمع وتشرق، يعطرونها بالطيب ويزينونها بنسيج الذهب76، وقد جاء في وصف أواني الشراب ما جاء، ومن أحسن ما قيل في ذلك قول علي بن العباس بن جريج الرومي يصف قدحًا[77]:

تنفذ العين فيه حتى تـــــراها أخطأته من رقة المُستَـــشفِّ

كهواء بلا هباء مشـــــــوب بضياء أرقِق بذاك وأصـــفي

وَسَطُ القَدر لم يكبَّر لجـــرعٍ متوالٍ ولم يُصَغَّر لرشـــــفِ

لا عجول على العقول جهولٌ بل حليم عنهن في غير ضعف

يمتع الشاربين بالشرب فـيه وبلذات كل قصف وعـــزف

ثم يتذاكرون آداب العرب، وأخبار الأمم، وألوان الأدب وخليطًا من الفنون وقد كان لكل خليفة ندماء يصطفيهم من خاصته ونوابغ عصره يجالسونه في أوقات أنسه ويروحون عنه في ساعات قلقه وأرقه78، وأسرفوا في الطعام وتفننوا في ألوانه واهتم به الخلفاء وكان

74. ديوان ابن الرّوميّ 2002م، ج4، ص165.

75. الجاحظ ، الحيوان ، ج 4 ، ص 454

76. جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، ج 5 ، ص94 .

77. الآمدي ، الموازنة ، ج1 ص10 .

78. إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي ، ج 3 ، ص. 416

المكتفي يطلب إلى الشعراء أن يصفوا له بعض أنواع الطعام وأن يقولوا الشعر في الشراب ويتبادل مع ندمائه الطرف والفكاهات.

لقد كان الترك صارفين همهم إلى الغنائم والأسلاب ، لذلك أفقروا خزانة الخلافة ولم يكن يطيب لهم إلا أطايب البدن وهذه تقتضي كثير انفاق فصفرت بيوت المال وسلط الأتراك سيوفهم على الخلفاء الذين كانوا شركائهم في الترف والاستهتار وأصبح الخليفة يصادر ممتلكات أقرب الناس إليه ليسد عجز الخزانة لذلك وصلت الرشوة والسرقة إلي مدى لم تعرفه من قبل وأصبحت الإقطاعات تتأرجح صعودًا وهبوطًا[79].

لقد أعطانا الشاعر العباسي ألواناً مختلفة من الأوصاف القديمة امتدت اليها يد الحضارة في التهذيب والتطوير، ومنها مبتكرة أوجدتها المدينة الجديدة، فقد كان للاتساع الحضاري أثر في تنوع الوصف، وابن الرومي فقد كان أحسن حظًا من وصفه للقصور والدّور، ومن ذلك وصفه لمدينة "خُراسان وفرسانها" وقد شبّهها في زمن الحرب ببحر أرخى اللّيل عليه سدوله، وزعزعت أمواجه ريّاح هوجاء عاصفة، ووصف فرسانها الأشاوس الشّجعان:

هذي خراسان قد جاشت غواربُها تُزْجي لنصر أخيها عارضاً لَـجِبَا
كالبحر ألقى عليه الليلُ كَلْـــكَلَهُ وزَعْزَعَتْ جانبيه الريح فاضطربا
خيلٌ عليهنّ آساد مـــــــــدرّبةٌ تأجَّموا الأسَلَ الخطِّيَّ لا القَــصَبَا

المدح: كانت قصيدة المديح في العصر الجاهلي ثم الإسلامي ثم الأموي تسير على النهج التالي: الوقوف على الأطلال فالنسيب { وقد يحل أحيانا محل الأطلال }فالرحلة ووصف مشاهد الطريق فالغرض الأساسي أما معاني قصيدة المديح فكانت غالبا محددة مكررة تقدم لنا الممدوح كريما كالبحر .شجاعا كالأسد معطاء كالمطر ، عزي ا ز كالجبل ، حصيف ال أ ري يدافع عن الحق والدين...

وقد تطورت قصيدة المديح في العصر العباسي وكانت مقدمة على بقية الفنون ، 1 فأصبح الشعراء يتوددون إلى الوزراء والملوك والولاة في أشعارهم فيمدحونهم ويثنون عليهم ومن الطبيعي أن ينهج ابن الرومي نهج أقرانه في عصره فيمتدح هو كذلك كبرياء

79.علي شلق ، ابن الرومي في الصورة والوجود ، ص 49 .

الناس وفضلائهم وأمرائهم وأن يتودد إلى خلفائهم وولاتهم إذ كان يعيش في عصر لا يقوم إلا على التقرب لأولياء الأمور ، وابن الرومي قد عاش طوال عهود ثمانية من الخلفاء هم :

الواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي والمعتمد والمعتضد ولكننا لم نق أ ر له مديحا لغير المتوكل ومع هذا فقد عجز أن يصيب مكانة في نفس الخليفة وسائر الولاة والأمراء لأنه غريب الأطوار ومجلبة للنحس على ما كان يظن هو نفسه ويظن به معاصروه من ناحية ثانية وهو يقول في إساءة الممدوحين معاملته وفي ردهم قصائده إليه لأنها غير صالحة أو في تصنعهم عن بذل العطايا له:

قد بلينا في دهرنا بملوك ... أدباء علمتهم شعـــــراء

أن أجدنا مدحهم حسدونا ... فحرمنا منهم ثواب الثناء

أو أسأنا في مدحهم أنبونا ... وهجو شعرنا أشد الهجاء[80]

ولكن لابن الرومي رغم ذلك مديحا جميلا موجها إلى بعض سراة المجتمع ومنهم آل طاهر وآل وهب ووزيرهم القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب وأبو القاسم الشطرنجي واسماعيل بن بلبل ووزير المعتضد وسواهم.

ابن الرومي لم يمدح من يكثر له العطاء، لأن العصر العباسي، لم يغرق الأموال على المتكسبين كما فعل العصر الَّذي سبقه، من جهة أخرى وكان المادح يرضى بالقليل الذي يعطى، وكان شاعرنا يلحظ بهذا الانحطاط التكسبي في العصر العباسي. كما شاعرنا عاصر تسعة من الخلفاء العباسيين. لقد مدح ألوانًا من الناس في عصره، فمدح الوزراء والكتاب والقواد والتجار وأصحاب الجاه والنفوذ. فإنَّ مدائحه للخلفاء نادرة، ومدح المعتمد مدحًا مباشرًا ومن ممدوحي ابن الرومي آل طاهر، آل وهب، آل نوبخت، وبنو مدبر.

ابن الرومي في مدحه كان يبتعد عن موضوع المدح، ويملأ القصيدة بالحكمة والشكوى وذم الزمان ومدحه خاليًا من الصدق والعاطفة. يقول عاصم جنيدي في كتاب كتبه حول ابن الرومي وحياته وفنه، كأنه في المدح يغرّد خارج سربه. ولهذه الأسباب لم يكسب بمدائحه

80. ركان الصدفي ، ابن الرومي الشاعر المجدد، مطابع وزراه الثقافة الهيئة السورية للكتاب ، ط1 ص29 .

ما يؤمل فيه، فكان يبدو عليه، وهو يمدحهم أنه يضمر لهم "فلسانه أطول من عقله" لأجل ذلك لم ينجح بمدائحه.

ولا يدع ابن الرومي مجالًا للشك في أصله الرومي، فإنه يذكره ويؤكد في مواضع شتى من ديوانه مادحًا كقوله :

ونحن بنو اليونانِ قوم لنا حجاً ومجدٌ وعيدانٌ صلابُ المعاجِمِ
وحلمٌ كأركانِ الجبالِ رزانـــةً وجهل تفادى منه جنُّ الصرائمِ
إذا نحنُ أصبحْنا فخاماً شؤونُنا فلسْنا نُبالي بالوجوهِ الســواهِمِ
ولسنا كأقوام تكونُ همومُـــهم بياضُ المعاري وامتهادُ المآكِمِ

وقوله في مدح بعض مواليه من بني العباس :

ومتى اختلَّ ابن روميِّـــكمُ فأَياديكم حَرىً منه قَمَـــن
وإذا أنتم وأنتم أنـــــــتمُ لم تُوَلُّوني وتُولُوني فَمَـــن
أنا عبدُ الحق لا عبدُ الهوى لعن اللَّهُ الهوى فيما لـــعن
أنا من أبناء أتباع الهُـــدَى لستُ من أبناء أتباع البِطَن[81]

وقد أدت قصيدة المديح رسالة اجتماعية، إذ إنها احتوت على المثل العليا التي كان يختزنها اللاشعور الشعبي عن صورة الحاكم والحكم، وكأنما أراد الشعراء أن يرفعوا أمام الممدوح الشعارات التي تطلبها الأمة في خليفتها وراعيها، لعله يثوب إلى طرق الرشاد82، فقد مدح ابن الرومي عدداً من القادة والوزراء والكتاب، مثل أسرة الطاهريين ولاسيما عبيد الله بن عبد الله بن طاهر الذي كان حاميه ونصيره الفني ضد البحتري، ومثل الكاتب صاعد بن مخلد الذي أصبح وزيراً أيضاً، وكذلك ابنه العلاء بن صاعد، وإبراهيم بن المدبر الذي كان على ديوان الرسائل، وإسماعيل ابن بلبل الذي كان رئيس ديوان الضياع بسامراء ثم أصبح وزيراً، ومدح القاسم بن عبيد الله وآل وهب وبني فياض وبني نوبخت وبني حماد وآخرين ...ولكنه لم يمدح الخلفاء ما عدا المعتضد الذي كان يكرم الشيعة، ولم يمدح القادة

81. المرجع نفسه ،ص 337 .
82. شوقي ضيف، العصر العباسي الأول ،ص161.

الأتراك، ويعود ذلك إلى تشيعه[83]، وخوفه من عقابهم بعد قصيدته الجيمية التي لّذعهم فيها بنار هجائه، ويرى أنيس المقدسي أن السبب يعود إلى أنه لم يدرك من الخلفاء غير المستضعفين، غير أنه لا يجزم في ذلك لأن حال البحتري تشبه حاله، ولكنه إذا ترّفع عن مدح الخلفاء لضعفهم وسوئهم فهو لم يترّفع عن مدح من هم أقلّ منهم همة وأسوأ منهم خلقاً وسلوكاً، على الرغم من أنه كان يرت□د أحياناً إلى نفسه ويفكر في حاله المزرية وهو على أعتاب الممدوحين، فتستيقظ كرامته وعزته، فيقول[84]

لكم حجابٌ ولنا أنفُسٌ تمنعُنا الذلَّ عزيـــــزاتُ

تاهَ وتهنا فسَمَونا بــها وهْي عنِ الذلِّ مصوناتُ

غير أن دوافع المديح عنده تنحصر في فقره وحاجته المادية، وفي ضعفه وحاجته إلى الحماية، وفي الهاجس الفني الذي يتمّثل في التفوق على شعراء عصره، ويتجّلى ذلك - كما سنرى -في وصف قصيدته بإحكام الصنعة والجمال.

المطلب الثالث : الهجاء والعتاب

يُعدّ الهجاء فنّ من فنون الشعر العربي الغنائي الّذي يعبّر به الشّاعر عن عاطفة الغضب والاحتقار أو الاستهزاء، ويمكن تسميته فن الشّتم والسباب لأنّه على عكس المدح وفي القصيدة الهجائية نجد نقائض الفضائل الّتي يتغنّى بها المدح فالجهل ضد العلم، والجبن ضد الشجاعة، والبخل ضد السخاء، والغدر ضد الوفاء، و...

عاش العرب في جزيرتهم الأولى على شكلٍ ابتدائي فيما يبدو، فقد عرض الباحثون لطبيعة العبث والنهب والسلب وركوب الاخطار، وصوّروا العربي فى صفات لا تعلق إلا بالقساة والمتوحشين[85] ورأوا أنّهم كانوا يتنافسون على الرياسة، وأنّه قلّما يُسلمُ واحدٌ منهم الأمرَ لغيره ولو كان أباه أو أخاه أو كبير عشيرته، فتعدّد احكام والأمراء. ويضيف ابن خلدون أنّ العرب أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض للغلظة والأنفة وبُعدالهمّة والمنافسة. وانتهى غيرُه إلى أنّ العربي يثور على كلّ سلطةٍ تُحاولُ أن تحدّد ممن حريته ولو كانت في مصلحته، فهو ديمقراطي مسرفٌ في ديمقراطيته إلى حدٍّ بعيد، وهو عصبي المزاج،

---

83. شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني ،ص301 .

84 . ديوان ابن الرومي، ص 386 .

85- ابن الرومي: الديوان، شرح أ/ أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ - 1994م.

سريع الغضب يهيج للشئ التافه، ثمّ لا يقف في هياجه عند غاية، وهو اشدّ هياجاً إذا جُرحت كرامته أو إنتهكت حرمة قبيلته. فإذا اهتاجَ أسرع إلى السّيف واحتكم إليه، وبادر شاعره إلى اللسان فَسلطه في شعر فيه الحماسةُ وفيه الهجاء المقذع يصوّر العدو هزيلاً والمهاجمَ ضعيفاً، ويبعثُ في نسبه الضعفَ وفى خلقه الصغار وفي شكله الزراية[86].

ومردّ هذا الخلق عند أكثر الباحثين إلى طبيعة الأرض من فقر وإجداب، وضيق الأفق بالسكان، فينتعشُ البؤسُ وتشتد الحاجة، وتحمدُ الشجاعةُ والوفاءُ والكرمُ، ويذمّ الجبن والخيانة والبخل، وتنتحل الأنساب، ويدور الشاعر الهاجي حول هذه الموضوعات ليصيب مقتلاً من خصومه، ويسرع إلى القوافي والصور فيصبّ غضبه على الولاة والحكام والأمراء والملوك، ويتناول المذاهب والاديان والعقائد، وينتصر لفريق على فريق، كأنّه في حزب سياسي أوفرقة دينيّة، أوفي دعاوة سياسية واجتماعية، كصحافة اليوم.

وكان من ذلک كلّه ديوان في الهجاء كبير، برع فيه الشعراء في القول والبلاغة والفصاحة، فعرضوا للأنساب والأحساب والأعراض والأخلاق فصوّروها في خيال صادق أو كاذب، لا يبالون بما يعترض سبيلهم من سمعة تتحطم أوكرامة تتهشّم أو أرومة تتهدّم، أو نسب ينهار وعرض يفضح. فقد كان الهدف النصر على الخصم ليس غير، يتناولونه من نواحيه فيبرزونه في شكلٍ مُخزٍ، ويضعونه موضعَ السخرية.

عرف العرب الهجاء الذي واكب المديح وسايره، وكان جزءًا مِن القصائد التقليدية، منبثاً في حماستهم وإشادتهم بأمجادهم وانتصاراتهم الحربية، وكان في جوهره تعبيراً عن احتقارهم للضعف والخَوَر، فدار فيما يتصل بذلك من القعود عن الغزو، والتقصير في حماية الجار، والعجز عن أخذ الثأر، والانهزام في المعركة، والاستسلام للأعداء، ووضاعة النسب، والبخل والفقر. واستمر الهجاء على هذه الصورة في صدر الإسلام، وإن كان بعض شعرائه قد فصلوه عن غيره من الموضوعات، وأفردوه في مقطوعات، وعابوا فيه مهجويهم بالكفر والشرك، ومخالفة الخلق القويم[87] وعُدّ الهجاء بالمفهوم السابق إثماً كبيراً لا يجوز أن يجري به لسان الشاعر، وخاصة المقذع منه، وقد فسّر عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – الهجاء المقذع حين أطلق الحطيئة من سجنه بسبب هجائه للزبرقان بن بدر عندما

86-ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان.

1.محمد محمد حسين، الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، ص178، ص225..

قال له: "إياك والهجاء المقذع. قال: وما المقذع يا أمير المؤمنين؟ قال: المقذع: أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء، وأشرف، وتبني شعراً على مدحٍ لقومٍ وذمٍ لمن تعاديهم"[88].

وأمّا في العصر الأموي فقد نما الهجاء نموّاً كبيراً في شكله ومضمونه وغايته، واحترفه شعراء النقائض، حتى أصبح قصائد مطولة، مستغلين فيه التاريخ الجاهلي بما فيه من أنساب ومثالب، وحروب، وانتصارات، وهزائم، ثم التاريخ الإسلامي، ومواقف القبائل من الدولة الأموية وخلفائها، متوخين من نقائضهم التسلية والترفيه والإضحاك، لا تهييج الشر وتحريك الفتنة (89). وتبقى النقائض مناظرات أدبية أوجدتها ظروف عقلية وأخرى اجتماعية في عصر بني أمية أكثر من كونها هجاءً بالمعنى المعروف في الجاهليّة.

والهجاء عند ابن الرومي مدرسة خاصة، وسنقف مع تفاصيلها، وكيف تأثرت حياة ابن الرومي العامة والخاصة بتفوقه في الهجاء، ومن أبرز من تصادم بهم من الشعراء وأصحاب الكراسي، وما مخرجات هذه التصادمات؟

ابن الرومي لم يجعل غرض الهجو مستقلاً عن الأغراض الأخرى، فلجأ إلى السخرية[90]، أيضًا هو ينتقل من الهجاء إلى إبراز الوصف والشكوى والاستخفاف .لنيل غايته من غرض الهجاء. كما «لابن الرومي شهرة في الهجاء لا تتقدمها شهرة دعبل وبشار. ويفوقهما بما امتاز من دقة التصوير، فإن هجاءه لا يقتصر على القذف والطعن والسخر، بل يتعداه إلى وصف أخلاق المهجو وتصوير أشكاله، حتى يبرزه مُثلة شوهاء مضحكة. وبواعث الهجاء عند الشاعر كثيرة، فمنها أنَّه كان محرومًا يستجدي فلا يعطى إلاَّ القليل، فيغضب ويهجو من يمنعون صلتهم عنه. ومنها أنَّه كان يحسد ذوي النعمة الَّذين يتمتعون بملاذ الحياة دونه فيهجوهم. ومنها أن الناس كانوا يعلمون ضيق أخلاقه، وغرابة أطواره، فيعبثون به ويضايقونه، ويعيبون شعره وينتقدونه، فيثور ثائرة ويهجوهم، ومنها إنَّه كان شديد الطيرة يتوهم النحس في الأشخاص والأسماء والعاهات والعيوب، فهجا كل شيء يتطير منه. ومنها أنَّه كان منهومًا لا يصبر عن الطعام، فإذا جاء رمضان تضايق من الصوم فهجاه. ومنها أنَّه كان يتشيع للعلويين مع ولائه في بني العباس، فهجاء العباسيين والفحش فيهم لما رأى ما أصابه من التنكيل.

2.ابن رشيق: العمدة، ج2، ص.170

1.شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص163، ص204.

90. ضيف، شوقي: فصول في الشعر ونقده، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر1979م.

أكثر ما يخيف في هجاء ابن الرومي أنه امتلك براعة فائقة في التصوير الفني (الكاريكاتير)؛ فكان يرسم الصورة الشعرية التي تفوح بروائح السخرية اللاذعة من كل جانب، ويجعل صاحب الصورة موضع التهكم والاستخفاف، وقد نبغ في الهجاء وبرز؛ فانظر إليه يهجو ابن حرب:

لك أنفٌ يا ابن حربٍ تأنف منه الأنـــــوف
أنت في البيت تصلي وهو في السّوق يطوف

أو في هجائه لآخر ويدعى عيسى:

يقتِّرُ عيسى على نفسِهِ وليس بباقٍ ولا خـــالدِ
فلو يستطيع لتقتيـــرهِ تنفسَ من منخرٍ واحد

فتضاعف شعوره بالوحدة وزادات كراهيته للحياة، وأطلق لسانه يسب الشعراء ويهجوهم، حتى أنه هجا البحتري لا لشيءٍ إلا لأنه وصل إلى بلاط الخلفاء، وفي قصيدته الشهيرة أفحش في هجاء البحتري، وأسند ارتفاع شأن البحتري إلى الحظ فقال:

الحظُّ أعمى ولولا ذاك لم نَرَهُ للبحتريِّ بلا عقلٍ ولا حســـبِ
وَغْدٌ يَعافُ مديحَ الناسِ كلّـهِم ويطلبُ الشَّتْمَ منهم جاهدَ الطلبِ
داءٌ من اللُّؤم يستشفي الهجاءَ لهُ كَذَلِكَ الحَكُّ يَستَشفيه ذو الجَرَبِ

ولم يبادله البحتري الهجاء، بل تفهم ما يدور في نفسه من مشاعر؛ فأرسل إليه بهدية واكتفى بالصمت.

وجاء في الجزء الأول من العمدة لابن رشيق : وهجا ابن الرومي البحتري وابن الرومي من علمت فأهدى إليه تخت متاع وكيس دراهم، وكتب إليه ليريه أن الهدية ليست تُقيةً منه ولكن رقةً عليه، وأنه لم يحمله على ما فعل إلا الفقر والحسد المفرط.

وروى المرزباني في الموشح أن عبد الله بن يحيى العسكري أخبره عن أبي عثمان سعيد بن الحسن الناجم، أن البحتري قال له: أشتهي أن أرى ابن الرومي !قال :فوعدته ليوم بعينه، وسألت ابن الرومي أن يصير إلي فيه، فأجابني إلى ذلك، فلما حصل ابن الرومي عندي وجهت إلى البحتري فصار إلي، فقال له البحتري :قد أقرأني أبو عيسى بن صاعد قصيدة لك في أبيه، وسألني عن الثواب عنها، فقلت :أعطوه لكل بيت دينارًا، ثم تحدثا، فقال البحتري :عزمت على أن أعمل قصيدة على وزن قصيدة ابن الرومي الطائية في الهجاء،

فقال له ابن الرومي :إياك والهجاء يا أبا عبادة، فليس من عملك وهو من عملي، فقال له : نتعاون .وعمل البحتري ثلاثة أبيات، وعمل ابن الرومي ثمانية، فلم يلحقه البحتري في الهجاء، وكان اجتماعهما عندي سببًا للمودة بينهما.

وابن الرومي يصور العاهات لدى الشخص المهجو، خُلقية كانت أوخَلقية ويأتي بها في هجائياته ويسخر منها.وقد خصص قسماً هاماً من ديوانه له. وهوفي الحالتين، شديد الوطأة على الشخص، يسلب منه جميع الصفات الحميدة ويعطيه كلّ المعايب والرذائل ويسخر منه ويستهزء به، كهذه القصيدة[91]:

يا سيّداً لم يزل فـــــروع من رأيه تحتها أصـــول
أ مثلُ عمرٍ يَسُوم مثـــــلي خسفاً وأيامُه حـــــــول
أ مثلُ عمرٍ يُهينُ مثـــــلي عمداً ولاتنتضي النُّصول؟
يا عمروسالت بک السيولُ لأمّک الويل والهـــبول
وجهک يا عمروفيه طـول وفي وجوه الكلاب طـول
فأين منک الحياة قـــل لي يا كلبُ والكلبُ لا يقول؟
والكلبُ من شأنه التـــعدّي والكلبُ من شأنه الغلولُ[92]
مقابح الكلب فيک طـــراً يزولُ عنها ولا تـــزولُ
وفيه أشياء صالـــــــحاتٌ حماكَها الله والرســـولُ
وقد يُحامِ عن المـــــواشي وماتحامي ولا تصـــول
وأنت من أهل بيت ســـوءٍ قصتهم قصة تطـــــول
وجوههم للورى عِظـــات لكن أقفاءهم طبـــــول
نستغفر الله قد فعـــــــلنا مايفعل المائق الجـــهول
ماأنسألناک ما سألـــــــنا إلّا كما تُسأل الطلـــول
صمتٌ وعيبٌ فلا خـــطاب ولا كتابٌ ولا رســـولُ
مستفعل فاعل فعـــــــول مستفعل فاعل فـــــعول
بيت كمعناک ليس فيـــــه معنى سوى أنّه فضـــول

91.محمد، سراج الدين، الهجاء في الشعر العربي، دار الراتب الجامعيّة، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.
92.لجنة الادباء الاقطار العربية، الهجاء، دار المعارف، دمشق، 1975م.

ومن أشد الهجاء وأقواه تأثيرًا في النّفس ما يجعل العيب لصيقًا بالمهجو، وفيه قال ابن الروميّ لعمر النصرانيّ:

وجهك يا عمرو فيه طولُ وفي وجوه الكلاب طولُ
فأين منك الحياءُ قــل لي يا كلبُ والكلب لا يقولُ
والكلبُ من شأنه التــعدّي والكلبُ من شأنه الغلولُ
مقابح الكلب فيك طـــرّاً يزولُ عنها ولا تــزولُ
والكلب وافٍ وفيك غـدرٌ ففيك عن قدْره سُفـــولُ
وقد يحامي عن المواشي وما تحامي ولا تصــولُ

والبخل موجود في كل العصور بدرجات مختلفة لذا عمد الشع ا رء على الوقوف على هذه الظاهرة والدعوة إلى التخلي عنها لما لها من مخاطر جسيمة في الدنيا والآخرة، قال ابن الرومي: (من الطويل)

إذا غمر المالُ البخيلَ وجَدْتَهُ يزيدُ به يُبساً وإن ظُنَّ يَرْطُــبُ
وليس عجيباً ذاك منهُ فإنـــهُ إذا غمر الماءُ الحجارة تَصلبُ[93]

يقول الدكتور عبد الحميد جيده ان ابن الرومي) وفّق بإعطاء هذه الصورة عن البخيل الذي يجمع المال، كلما ا زد ما له ازداد جفافه وتصلبه، وهو لا ي دري ذلك لان شهوة المال قد طغت عليه، وأفقدته دقة الحسّ فأصبح المال غايته الوحيدة لا يفكر إلاّ به فيزيده المال يبساً بينما يشعر أن في زيادته رطوبة له وإنعاشاً لنفسه وروحه، ويقرب ابن الرومي إلينا صورة البخيل الذي يزداد صلابة بكثرة ما له بصورة الحجر الذي تغمره المياه فيزداد تصلباً، فابن الرومي رصد هذه الظاهرة الاجتماعية في عصره ودعا إلى التخلص منها عبر وصف مساوئها من جهة وهجاء من يتصف بها من جهة أخرى قال (من الكامل)

ابديتَ صفحة قسوةٍ وخشونةٍ من دون تافِه نْيلك المطـلوب
فكأنك الينبوتُ في إبـــدائهِ شوكاً يذودُ به عن الخــروب
لو كان نائلك المُحجَّب نائــلاً لَعَذرتُ مَنْعة بابك المحجوب
يا ضَيفَهُ:أبشرْ فإنك غـــانُم أجر الصيام وليس بالمكـتوب[94]

93. ديوان ابن الرومي، ج1، ص89.

المطلب الرّابع : الرّثاء

يعدّ الرثاء من أهم الأغراض الشعرية القديمة وأصدقها، بل أصدق ضروب الآداب الإنسانية علي الإطلاق وأكثرها صلة بالنفس البشرية والتصاقاً بالوجدان الإنساني، وهو من أكثر أغراض الشعر استمراريّة وبقاء ؛ فلهذا وبسبب الصلة الوطيدة بين موضوع الرثاء والنفس البشرية، قلّما نجد شاعرا وهو لا يقرض شعرا في الرثاء، ولكن هناك بعض الشعراء قد برعوا في قرض المراثي وهذا بسبب القدرة الذاتية والحس الرهيف عندهم ولا ننسى البواعث الخارجية علي نفس الشاعر مثل الكوارث والمصائب الوارده عليه.

ويضطلع الشّاعر العباسيّ في تسجيلها، ممّا يجعلها وثيقة تاريخيّة ناطقة بواقع الحال، وكأنّ الشّاعر في رثائه شاهدُ عصر، يحاول أن يجسّد معاني وطنيّة وسياسيّة ودينيّة، تصطبغ بطابعه الفكريّ، وطريقته في التّعبير، متأثرا بملامح بيئته الحضريّة الّتي يرسمها بصوره الموحية ومعجمه اللّفظيّ، وشاعرنا ابن الرومي أحد هؤلاء الشعراء البارعين في قصائد الرثاء، وهو بصفته شاعر الرثاء حلت به كوارث جسام تحملها بصبر.

يستخدم الرثاء آلة للتكسب، كما قلت مراثيه، وليس له منها ما يستحق الذكر، إلاَّ ما قاله في أولاده وزوجة وأمه وأخيه. وما أحسنه ما قيل في رثاء بستان المغنية وكان يهواها، وفي أبي الحسين يحي بن عمر الطالبي[95]، لأنَّه كان يتشيع للعلويين كما ذكرنا، أيضًا ما قاله في رثائه وبكائه على البصرة لما دخلها الزنج سنة (257هـ) وأحرقوها كان ابن الرومي في رثائه شديد التأثير في نفوس الحاضرين والقارئين أيضًا، كان ابن الرومي قوي العاطفة ودقيق الإحساس في رثائه للبصرة:

ذادَ عن مُقْلِتي لذيذَ المـــــــنامِ شُغلها عنهُ بالدموعِ السّـــــجامِ
أيُّ نومٍ من بعد ما حــلّ بالبصْـ ـرَةِ من تلكمُ الهناتِ العـــظام
أيُّ نومٍ من بعد ما انتــهك الزّنْـ ـجُ جهاراً محارمَ الإســـــلام
إنَّ هذا من الأمورِ لأمْـــــــرٌ كاد أن لا يقومَ في الأوهـــام
لهفَ نفسي عليكِ أيَّــتُها البصـ ـرةُ لهفاً كمثل لفحِ الضِّـــرام

---

2. م ن، ج1، ص197 .

95. ابن الرومى .حياته الشخصية والأدبية مزكان حسين بور كاتبة إيرانية – رسالة ماجستير في اللغة العربية – جامعة زاد الاسلامية 2011م.

لهف نفسي عليك يا معدن الخيـ ـرات لهْفاً يُعضُّني إبـــهامي
لهف نفسي يا قُـــــبَّةَ الإسـ ـلام لهفاً يطولُ منه غـرامي
لهف نفسي عليكِ يا فُرضةَ البل دانِ لهفاً يبْقى على الأعـوام
لهف نفسي لجمعكِ المـــتفاني لهف نفسي لِعِزِّكِ المُستضـام
دخلوها كأنهم قِـــــطع اللّيـ ـلِ إذا راحَ مُدْلَهِمَّ الظّـــلام[96]

كان ابن الرّوميّ محسودًا ممن حوله، فكان ذا حظ سيء، لأن ضيعته قد حرقت، وزروعه قد أكله الجراد، وأتي الموت ليقضي على أفراد أسرته، فتوفي والده ووالدته وأخوه وخالته، ثم زوجته وأولاده الثلاثة، حيث قال في رثاء ابنه وزوجته:

بكاؤكُما يشْفي وإن كان لا يُجْدي فجُودا فقد أوْدَى نَظيركُمُا عنـــدي
بُنَيَّ الذي أهْدَتْهُ كَفَّايَ للثَّـــــرَى فَيَا عِزَّةَ المُهْدَى ويا حَسْرة المُهدِي
تَوَخَّى حِمَامُ الموتِ أوْسَطَ صبْيَتي فلله كيفَ اخْتار وَاسطَةَ العِـــــقْدِ
على حينَ شمْتُ الخيْرَ من لَمَحَاتِهِ وآنَسْتُ من أفْعاله آيةَ الرُّشـــــــدِ
طَوَاهُ الرَّدَى عنِّي فأضحَى مَزَارُهُ بعيداً على قُرْب قريباً على بُـــــعْدِ
لقد أنْجَزَتْ فيه المنايا وعـــــيدَها وأخْلَفَتِ الآمالُ ما كان من وعْـــدِ
أقُرَّةَ عيني قدْ أطَلْت بُـــــكاءها وغادرْتها أقْذَى من الأعينِ الرُّمـدِ
أقُرَّةَ عيني لو فَدَى الحَيُّ مَيِّـــتاً فَدَيْتُك بالحَوْبَاء أَوَّلَ من يَفْـــــدِي
كأني ما اسْتَمْتَعتُ منك بنظْـــرة ولا قُبْلةٍ أحْلَى مَذَاقاً من الشَّـــهْدِ
كأني ما استمتعتُ منك بِضَـــمَّةٍ ولا شمَّةٍ في مَلْعبٍ لك أو مَـــهْدِ

المطلب الخامس : الغزل

المتأمل في فطرة الإنسان التي فطر وجبل عليها ، نجده دائمًا مفتونًا بمحاسن النساء وهذه سنة الله في خلقه وعباده ومن سنة الله على عباده بأن جعل من المرأة ملاذًا آمنًا وسكنًا للرجل

96. ديوان ابن الرّوميّ 2002م، ج3، ص339.

منذ خلق آدم عليه السلام قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [الروم:21][97]

طبع الإنسان أن يمتلك كل جميل يستلطفه فيميل إليه حتى يتعلق به ولا يقدر على مفارقته وقد تطرق إلى مراتب الحب كثير من النقاد والأدباء أمثال ابن حزم في كتابه (طوق الحمامة)، فجعلوه على درجات :استلطافا ثم ميلا، ثم حنينًا، ثم حنانًا ثم غرامًا ثم هيامًا، ثم تولّهًا، ثم تدّلهًا وقد يجيء طبيعيًا أو منحرفًا[98].

والغزل كغيره من الأغراض الشعرية القديمة يشغل حيزًا كبيرًا من الشعر العربى القديم مستمدًا من الحقب السابقة معانيه، مراعيًا الأرض والثقافة ومتطلبات الأحوال : فأصبح سمة لكل عصر من العصور وهو ناتج من انفعال الشاعر عندما يتحدث عن مشاعره وانفعاله وأحاسيسه الواقعية، ويكشف عنى أعماقه وما بداخله في لحظات السعادة والحزن، والترقب والقلق فيصور لنا لحظات الانتظار والشوق والسعادة وما يتصل بهما من الانفعالات.

أصبح الغزل يدور حول ثلاثة أسماء أساسية وهى:

الغزل، والنسيب، والتشبيب، ولم يصل فيها النقاد إلى تعريفات منفصلة عن بعضها البعض، فتناوله ابن منظور في لسان العرب، فقال: الغزل :حديث الفتيات واللهو مع الفتيات ومغازلتهن ومحادثتهن :ومراودتهن، والتغزل :التكّلف لذلك وفي المثل :هو أغزل من امروئ القيس[99] ويقول في التشبيب :شب بالمرأة :قال فيها الغزل والنسيب :وهو يشبب بها أي: سب بها. ويقول في النسيب [100]:والنسيب النسب بالنساء ينسب نسبًا ونسيبًا ومنسبة تنسب به في الشعر وتغزل.

الغزل من الأغراض الرئيسية في شعره، ينتشر الغزل في مطاوي أهاجيه ومدائحه، ووصف الغانيات المتصل بالجواري والمطربات وحديثه عن صورة الغزل المشتت بين أحاسيسه الصادقة.

---

97. القرآن الكريم ، سورة الرّوم، الآية 21 .

98 .حسين الحاج حسن، أعلام في الشعر العباسي، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ، 1993 م ص68 .

99. ابن منظور، لسان العرب ، مادة (غزل) .

100. المصدر نفسه مادة (نسيب).

ونجد ابن الرومي كغيره من شعراء عصره رضخ لهذا الغرض لمجاراة أقرانه على الرغم من أنه لم يخض فيه الكثير إلا أنه عدد يسير في هذا الغرض ولعل السبب الذي لم يجعله يسهب إسهابا كبي ا ر في هذا الغرض هو أنه لي يكن عاشقا حقيقيا ولعل السبب وراء ذلك يعود لتكوينه النفسي والجسدي الذي جعل النساء تنفر منه فكما قيل في ثنايا الكتب أنه كان قبيح الوجه إلى أن الداعي لكتابته في هذا الغرض هو مجاراة شعراء عصره لا غير.

ولعلّه في الغزل من الوصف الحسي كغيره من الشعراء فحاول ذكر مفاتن النساء وتبيان تفاصيل أجسادهم، فتجده يصف ويتغزل معجبًا بالمغنية (وحيد) التي نظم فيها قصيدته المشهورة، يقول:

يا خَلِيلَيَّ تَيَّمَتْني وَحـــــــيدُ فَفُؤادي بها مُعَنَّىً عَمِـــــــيدُ
غادةٌ زانها من الغُصْـــن قَدٌّ ومن الظَّبي مُقلتان وجِـــــيدُ
وزهاها من فَرْعِها ومن الخد ديْنِ ذاك السَّوادُ والتَّـــــوْريدُ
أوقد الحسْنُ نارَه من وحـــيدٍ فوق خدٍّ ما شَانَهُ تخْـــــــدِيدُ
فَهْيَ برْدٌ بخدِّها وســـــلامٌ وهي للعاشقين جُهْدٌ جهـــــيدُ
لم تَضِرْ قَطُّ وجهها وهْو ماءٌ وتُذيبُ القلوبَ وهْيَ حـــــديدُ
ما لما تصطليه من وجنَتَيْها غير تَرْشافِ رِيقِها تَبْـــــريدُ
تتغنَّى كأنها لا تُغَـــــــنِّي من سكونِ الأوصالِ وهي تُجيدِ
ضافَنِي حُبُّك الغريبُ فألـوى بالرُّقادِ النَّسيبِ فهو طريـــــدُ[101]

وقد كان ابن الرومي كأبناء عصره يقدم الغزل بين يدي مدحه ووصفه جريًا على سُنة لم يكن في ثقافة عصره ما يدعوه إلى استغرابها، والنظر في تنقيحها، إلا أنه يُعمل هذه السنة ويتصرف في تقديم الهجاء بالغزل، فلا يقصره على الوصف والمديح، فيخرج بذلك بعض الخروج من حكم التقليد والمحاكاة العمياء، ويختار لصناعته بعض الاختيار كقوله:

ألم ترَ أنني قبل الأَهـــاجي أُقدِّمُ في أوائلها النســـــيبا
لتخرق في المسامع ثمّ يتـلو هجائي مُحْرِقاً يكوي القلوبا
كصاعقةٍ أتتْ في إثر غيثٍ وضِحْكِ البيضِ تُتْبِعُهُ نحيبا

3. ابن الرومي، الديوان ، ج2 ، ص 26101 .

بالإضافة إلى هذا الغزل تناول ابن الرومي نوعًا آخر من أنواع الغزل وهو ما يسمى بالغزل الماجن، فقد أفحش فيه ابن الرومي وخرج فيه عن مألوف القول وفعله، وكذلك لم يلتزم فيه بالقوانين والأخلاق والدين، فقد ذكر فيه ألفاظًا بذيئة لا تليق بالأدب وتعدى على عِرض كل من أساء إليه من قريب أو بعيد بكلماته المرة والفاضحة.

وعلى العموم نشاهد في نفسية ابن الرومي نقمة على المجتمع الَّذي عاش فيه ويعبّر عنها بقصائده «فقد رأى غيره من الشعراء والأدباء والناس، ممّن لا يتحلون بأية فضيلة، يحصلون على المكانة العالية، والأموال الوفيرة، والشهرة الواسعة، بينما يرى نفسه، وهو الشاعر المجيد، لا تقدر مواهبه وهو يمنع عن أي منصب مرموق، ويحرم من التقرب إلى أصحاب المراتب العليا وكان ابن الرومي في كلَّ يوم يتأكد له، أن عصره كان عصر اختلال وتفرّق، لا يحقق الإنسان فيه مراده بقدرته وكفاءته، أو باحتياله عليهم، واتخاذ لسانه أداة تملّق يظهر عكس ما يبطن، تحقيقاً لمصالحه فثار على المجتمع المشبع بالنفاق والخديعة، وقام يشكو اختلال الزمان. لقد أشار ابن الرومي إلى انهيار القيم الحضارية والإنسانية في عصره، وسقوط المثل العليا بين أبناء وطنه فمراد ابن الرومي أن يسمو الإنسان بعلمه وعقله وفكره، وليس بمكره واحتياله ويوضع ذلك بنقمة لاذعة ولسان شديد الوطأة[102].

1. محمد سمير كبريت: روائع الشعر العربي (ابن الرومي)، ص 21-22.

الفصل الثاني

الفصل الثّاني: المجتمع العبّاسيّ برؤى ابن الرّوميّ

المبحث: النّزعة الاجتماعيّة عند ابن الرّوميّ

- المطلب الأول : الطّبقية
- المطلب الثاني : تحليل قصيدة "الحمّال"

المبحث الأول : النّزعة الاجتماعيّة عند ابن الرّوميّ

المطلب الأول : الطّبقية

المجتمع العبّاسيّ تركبت فيه تناقضات حادّة امتزجت فيه أعراق جديدة أنجبت تميزا انعكس في تهجين العصر اجتماعيا وتوسيعه وتنويعه ثقافيا، هذا ما أعطى دفعًا للصرح الحضاري، لكن على خلفية ذلك ظهرت في المجتمع تجاوزات راحت ضحيتها الطبقة الكادحة التي تحصيل حاصل لطبقة ارستقراطية تعيش في النعيم المغدق. والحاصل الثري ازداد ثراءً والفقير ازداد فقرًا.

وكان التفاوت الطبقي صارخاً في المجتمع العباسي، بل كان السمة البارزة فيه، فقد كان هناك الأثرياء الذين بشموا من التخمة، وتغطرسوا وبطروا، وكان هناك من يتضور جوعاً لا يجد لقمة تسد رمقه. إنه مجتمع المتناقضات، الغنى إلى جانب الفقر والفاقة، والفجور والمجون إلى جانب الزهد والتصوف، اللهو والترف والقصف إلى جانب العبادة والتبّتل، وهلم جراً[103].

إذن فالشعر الاجتماعي في العصر العباسي اتسعت دائرته ليصور الظواهر الاجتماعية التي برزت مع السياسة الجديدة في هذه الحقبة كتعميق الفوارق بين الأغنياء والفقراء، وكثرة الرقيق والجواري والغناء، وما صاحب ذلك من مجون، وظهور نزعة الشعوبية والزندقة من الموالي كرد فعل للكبت الذي عانوه في عصر بني أمية، أما ما يخص المفارقات بين الغنى والفقر، وعلى هذه الصورة التقط ابن الرومي عينات اجتماعية، وأبد وموقفه الاجتماعي منها. فقد غاص في عمق المشكلة لأنه عانى كثيرا من هذه التناقضات الاجتماعية التي ضايقته، وفجّرت قريحته، إذ بدا ناقمًا غاضبًا غاصًا، وفي الوقت نفسه مترجيًا استئصال هذه الطبقة، وفي هذا تراه يقول:

أتُراني دون الأُلى بلغــوا الآ مالَ من شُرطةٍ ومن كُتّــابِ؟
وتِجارٍ مثل البهائمِ فـــــازوا بالمنى في النفوس والأحبابِ
أصبحوا يلعبون في ظلِّ دهرٍ ظاهِر السُّخْف مثلهم لَعَّــابِ

ابن الرومي يحدد موقعه بوضوح من الصراع الاجتماعي، فهو ضد الطبقة الارستقراطية المترفة التي لا يهمها إلا مصلحتها ورفاهيتها، وتخّلت عن وظيفتها

103.ركان الصفدي، ابن الرومي الشاعر المجدد، منشو ارت الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط1،2012 ،ص72 .

الاجتماعية في الدفاع عن المجتمع والنهوض به، أما باقي فئات الشعب فكانت تعيش في أسوأ حال، يمكن استنتاج صورتها بعكس معاني الأبيات إلى نقيضها.

ومن مظاهر هذا الموقف الاجتماعي في شعر ابن الرومي اهتمامه بالحياة الشعبية وتصويره لبعض الكادحين من عامة الناس كالحمال الأعمى والطباخين والخبازين...

فموقف ابن الرومي السياسي والاجتماعي كان مناقضاً للحياة السياسية والاجتماعية السائدة، وقد دفعه ذلك إلى النقمة على المجتمع الظالم، وكان استعداده النفسي لهذه النقمة دافعاً له ليكون الهجاء الأول في عصره. وعندما لم يستطع ابن الرومي أن يتم رد على مجتمعه بسبب تكوينه النفسي المضطرب، وجد الهجاء سلاحه الوحيد يحمي به نفسه، ويهاجم به مجتمعه الذي قسا عليه كثيراً، فصور منهم الجيف والبهائم في قوله:

جيفٌ أنتنت فأضحتْ على اللُّجـ ـجَة والدُّرُّ تحتها في حجابِ

وتِجارٍ مثل البهائمِ فـــــــازوا بالمنى في النفوس والأحبابِ

المطلب الثاني : تحليل قصيدة "الحمّال"

يزخر تاريخ الأدب العربي والشعر العربي على الخصوص ملامح إنسانية عميقة الجذور وصور اجتماعية رائعة الألوان لكأنك تقرأ أحياناً شعراً حديثاً يعالج مشكلات النفس والمجتمع.

ليس المهم في الشعر أن يكون قديماً أو حديثاً، و لكن المهم أن يكون هذا و ذاك شعراً تقدميا .وكما نعثر في الشعر العربي القديم على أدب تقدمي نعثر في الشعر العربي الحديث على أثر رجعي.

وفي شعر ابن الرومي فلتات إنسانية ونفسا مرهفة الحس ووجدانا متعاطفا مع مظاهر النقص في بني البشر كقصيدته في وصف " الحمال الأعمى " ذلك الذي مر به فقهاء ورجال دولة وشعراء وأعيان وعامة فلم يلتفت إليه أحد ولا أحس بمعاناته فردٌ إلا الشاعر ولعل من أوضح هذه الملامح الإنسانية ذات الدلالة الاجتماعية الصّورة الحزينة التي وصفه ابن الرومي في شعره وخصه بقصيدة كاملة، تعد من أروع الأوصاف في الشعر العربي،

وخاصة في تصوير الفقراء. ونظم قصيدته على بحر السّريع من ثماني عشرة بيتًا قائلًا104:

1. رأيتُ حمَّالاً مُبينَ العــمى يعثر بالأكْم وفي الـــــوَهْدِ
2. مُحتَمِلاً ثِقْلاً على رأْســـه تضعُفُ عنه قُوَّةُ الجَـــــلْدِ
3. بين جِمَالات وأشبـــــاهِها من بَشَرٍ نامُوا عن المــجْدِ
4. أضحى بأَخْزى حالةٍ بينهم وكلُّهم في عيشةٍ رغْـــــدِ
5. وكلّهم يَصْدِمُه عامـــــداً أو تائهَ اللُّبِّ بلا عـــــمدِ
6. والبائسُ المسكِينُ مستسْـلِمٌ أذلُّ للمكروه من عـــــبْدِ
7. وما اشْتهى ذاك ولكـــــنَّه فرَّ من اللُّؤْم إلى الجَـــهْدِ
8. فَرَّ إلى الحْملِ على ضعفه من كَلَحات المُكْثِر الـوغْدِ
9. فَعُذْتُ من أمْثال أحْـــوالِهِ باللّه والحُرِّ أبي سَـــــعْدِ
10. السَّبِطِ الكفِّ الذي لم يزل مُسْتَمْطِرُوهُ في ثَرىً جـعْدِ
11. الصّادِقِ الوعْدِ على أنــه ما زال فعَّالاً بـــــلا وعْدِ
12. الوارِثِ السُّؤْدَد أسْـــلافُهُ ذي المجد من قَبْلٍ ومن بعْدِ
13. العاسِف المالَ لِسُـــــؤَّاله والسالك الرأيَ على القصْدِ
14. الدائم العهْدِ ولكـــــــنَّه يصْعد من عهْد إلى عـــــهْدِ
15. مستبدِلاً عهْداً بما دُونـــه والعزْمُ منْهُ ثابتُ العَـــــقْدِ
16. المُبْرِقِ البشرَ الملِثِّ الجَدَا مُجانباً قَعْقَعَةَ الـــــــرعْدِ
17. يستكتم العُـــرفَ على أنه يُفشيه في غوْرٍ وفي نـــجدِ
18. من أجْحَدِ الناس لنعمى له تزداد إسْفاراً على الجَـحْدِ[105]

موضوع القصيدة أوحاه إلى ابن الرومي منظر حمال أعمى رآه الشاعر يسير في الأسواق يتعثر بالناس و يتعثر الناس به قاصدين أو غير قاصدين وهو يحمل على ظهره أثقالاً لا يستطيع الأقوياء من الرجال حملها، والأعمى المسكين مستسلم للمكروه، كأنما هو عبد، يمشي وهو حامل أثقاله ليأكل لقمة عيشه، ليكسب كسرة خبزه، ولم يكن ذلك لأنه يحب مزاحمة الناس له واصطدام الجمال وأشباهها به ولكنه فر إلى العمل المرهق وإلى الحمل

1. ديوان ابن الرومي.ج2. ص705،.706.
105. المصدر نفسه، ج1، ص452.

المهلك هرباً من لؤم الناس ومن حاجته إلى فضلات الأغنياء، فر إلى حمل الأثقال فوق ظهره فوق ما يحمل من أثقال العمى في عينيه، ليتخلص من حمل منة يمنها عليه لئيم وغد، وصدقة يلقي بها أليه غني ذميم.

1. رأيتُ حمَّالاً مُبينَ العــمى يعثر بالأكْم وفي الـــــوَهْدِ
2. مُحتَمِلاً ثِقْلاً على رأْســـه تضعُفُ عنه قُوَّةُ الجَـــــلْدِ
3. بين جِمَالات وأشبـــــاهِها من بَشَرٍ نامُوا عن المــجْدِ
4. أضحى بأَخْزى حالةٍ بينهم وكلُّهم في عيشةٍ رغْـــــدِ

تحليل وشرح: مطلع القصيدة فعل ماضٍ يدلّ على الواقعية لما فيها من حضور ابن الرومي وتتبعه للمشهد الدرامي في حركة وصفية تثير الشفقة والشجن. ولفظة "حمالًا" من صيغ المبالغة الدالة على ثبات صفة الحمل، وما في الحمل من تعب، وزاد الحال سوءًا في الإعاقة البصريّة "مُبِين العمى" واصفًا ذلك باسم الفاعل الدّال هو الآخر على لزوم الصّفة وإلصاقها بصاحبها.

هذا التّتابع المشهدي المثير للعواطف تعمّق أكثر حينما راح يصف من دلالة الفعل المضارع "يعثر" على الاستمرارية والحركة والتجدّد. فالأكم ما ارتفع من الأرض والوهد ما انخفض عنها. هذا المشهد آكد على حلقة الغبن.

"مُحتملًا" اسم فاعل من التّحمّل والحمل، ثمّ أورد المفعول به مباشرة "ثقلًا". غار الشّاعر في طبيعة الحمل الثّقيل ليزداد الوضع من السيّئ إلى الأسوأ فإلى الأشد سوءًا.

"جمالات" تدلّ هنا على الهيئة والمقام والمكانة الّتي يحضون بها في مجتمعهم، متناسين الفقراء وأصحاب الحاجة والمعوزين.

"رغد" المجتمع العبّاسيّ مركب تركيبًا متناقضًا، طبقة في غياهب الفقر، وطبقة في عيشة رغيدة تزينها الرفاهية والأموال.

الصّورة هنا على غرار المعاملة المرّة والإهانة أكثر ألمًا تشدّ أصحاب القلوب الرهيفة إلى التّعاطف والتّعاون، ولكن سنرى العكس لمّا تتغيّب الإنسانيّة.

5. وكلّهم يَصْدِمُه عامـــــــدًا أو تائهَ اللُّبِّ بلا عـــــــمدِ
6. والبائسُ المسكِينُ مستسْـلِمٌ أذلُّ للمكروه من عـــــبْدِ
7. وما اشْتهى ذاك ولكـــــنَّه فرَّ من اللُّؤْم إلى الجَـــهْدِ
8. فَرَّ إلى الحْملِ على ضعفه من كَلَحات المُكْثِر الـوغْدِ

تحليل وشرح: أسلوب التّعميم واسميّة الجملة وحركة خبرها آتت بدلالة القوّة والتوكيد والثبات والحركة والتجدّد والاستمرار في آن واحد، وفي ذلك دعم لغويّ يوضح مدى تمادي الجهلاء والمتكبّرين في غيّهم وغطرستهم.

فهذا التّصرف المشين يوحي بالاستصغار والتّقزيم للحمّال ومَن شابهه. لكن أمعنا النّظر بحكمة وعقلانيّة فقد نرى هذا الحمال الأعمى مثال الإنسان الشريف الذي يضن على شرفه أن يهان بكلمات الأوغاد وردود البخلاء، وعلى كرامته أن تذل بالصدقات والعطايا. إنه نموذج إنساني كامل للرجل الصابر، الذي يعمل بيده، ويحمل فوق ظهره وهو أعمى، لكي يكسب قوته بيده وعرقه وعماه، لكي لا يحتاج إلى لئيم، فالنار ولا العار، والموت خير من سؤال اللئيم.

لقد شكا ابن الرومي افتقاد عصره للقيم وعبث معاصريه بها، إذا نجده ناقماً على مجتمعه وأناسه لتخليهم عن معنى الإنسان فيهم:

وكلّهم يَصْدِمُه عامـــــــدًا أو تائهَ اللُّبِّ بلا عـــــــمدِ

وغدا شعره مرآة لاقطة تنعكس فيها آفات العصر وعاهاته ولعله في هذه القصيدة قد سبق عصره وعياً اجتماعياً بأشواط بعيدة، ويبدو أنه توصل إلى هذا الموقف الاجتماعي المتقدم لأنه وجد فيه صورة من الشقاء الذي يعانيه هو نفسه، فكانت صورة الحمّال معادلاً موضوعياً لشقائه وعذابه[106]

البائس المسكين مستسلم: صفات تبدو في ظاهرها صفات ذميمة كأنّها تحمل القنوط والمسكنة نحو الذّلّ. لا، إنّها على عكس ذلك فالأولى تحمل بؤسه من كبار قومه المتغطرسين المتجبّرين، والثّانية تحمل العمل المتواضع لقوت يومه، لأنّ المسكين يعل والفقير لا يعمل، وفي قوله تعالى نتبيّن ذلك: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾[107]

مجتمع ابن الرومي ينبئنا بغيّاب العدالة الاجتماعيّة والمثل العليا في رسم وتعديل البيت العبّاسيّ من براثن التّسلّط والعبث والاهانة والاحتقار. والتزامًا من ابن الرومي لجأ يحاول

106. المرجع نفسه ص 157.
107. القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية 79.

التّغيير وتصحيح عقلية المجتمع من خلال غوره في حقيقة ممثلي التّناقضات راصدًا أسباب ومظاهر الانفلات الأخلاقيّ والاختلال الاجتماعيّ.

فحديثه عن الحمّال أشبه بدعوة للثورة ضد الفقر واستبداد الأغنياء وفيها يتجّلى بنصوع موقفه الاجتماعي والطبقي، فالحمّال يكدح بشرف على الرغم من عماه ليكسب قوت عياله دون أن يريق ماء وجهه في السؤال أمام الأثرياء الأوغاد، ودون أن يكون عالة على المجتمع، وهو يعمل بجد ويسهم في بناء المجتمع، أما أولئك الأغنياء فهم عالة عليه يرفلون في ثياب النعيم، ولكنهم تخّلوا عن الفضائل والشمائل الحميدة.

يبنى النص على صورة رجل فقير أعمى ضعيف القوى مستسلم لقدره، خاضع له فهو على ضعفه قد تحمل عبأ حمل ثقيل على رأسه، يسير به فيصطدم بما ارتفع وما انخفض لانعدام بصره، ويمزج ابن الرومي بين وصفه للحمال ووصف حالة الأغنياء فهم في بحبوحة العيش متنعمين غير مدركين حال هذا المسكين وغير مكترثين له فهُم يصطدمون به ما بين عامد له او تائه اللب منشغلاً بأحواله، وذلك المسكين مستسلم لما جرى عليه، لذا بدت صورته - مع انه يدعو إلى الشفقة -غير مقبولة اجتماعية، فالإنسان مع فقره لا بدّ أن يكون عزيز النفس قوي الإرادة.

ويأتي البيتان السابع والثامن ليعززان فكرة التفكك الاجتماعي وان أصحاب السلطة هم السبب الأساسي في وجود مثل هذه الفئة، فهذا الإنسان فرّ من لؤم الأغنياء إلى العمل المتعب والجهد المضني على ضعف جسمه.

استطاع ابن الرومي أن يصور لنا هذا المشهد عبر توظيف الصورة الواقعية والمشهد الحقيقي للأحداث مازجاً ومقارناً بين صورة الفقير وصورة الغني المترف.

ومن لطائف الشّاعر ظاهرة ملفتة للنظر في شعره إضافة إلى دقة التصوير، مَلَكةُ النفاذ إلى باطن المعنى والظفر بمكنونه فتراه يخرجه لنا مستوفي الدقائق فلا نطلب مزيدا وهي تشبه ما نعرفه في النثر تحت اسم " جوامع الكلم "، ويجوز لنا أن نسميها ملكة الإيجاز أو جوامع النظم قياسا على جوامع الكلم فهو بعدد محدود من الكلمات أو من الأبيات يقف على مضمون المعنى الذي يريد التعبير عنه ويترك الكلمات توحي ودلالة تستنسل من دلالة دون أن يكلف نفسه عناء التطويل واقرأ قوله في القصيد ة ذاتها:

وما اشْتهى ذاك ولكـــــنَّه فرَّ من اللُّؤْم إلى الجَـــهْدِ

وفي قوله: المُبْرِقِ البشرَ الملِثِّ الجَدَا مُجانباً قَعْقَعَةَ الـــــــــرعْدِ

يكشف الشاعر لمترصديه أحد أسرار عبقريته وهي استقصاء أدق الأشياء مع الاقتصاد في الكلمات حتى يسلم شعره من الحشو وآفة التكرار.

وما كان بينه وبين ذلك الحمال من صلة حركت فيه ذلك الإشفاق عليه، والعجب من صبره إلا أنه كان يؤثر مقاساة الجهد على مقاساة اللؤم، وبرح العناء على التكسب بمدح البخلاء، ويريح نفسه مما يعانيه الشاعر، ويفتقر إليه من استجداء النوال وذل السؤال، وهي صلة لا تتحرك بها العاطفة إلا في نفس مجبولة على العطف، والتأسي بأحوال الكبير والصغير والرفيع والوضيع[108].

وما اشْتهى ذاك ولكـــــنَّه فرَّ من اللُّؤْم إلى الجَـــهْدِ
فَرَّ إلى الحْملِ على ضعفه من كَلَحات المُكْثِر الـوغْدِ

قوّة الشّخصية عند الحمال الأعمى ألزمته الفرار من عتاب الضمير والعامّة، ومن المثول للإهانة وكلّ الصّفات الذّميمة المُشينة للعرض والشّرف، ولجأ إلى حمل العبء الثّقيل، لجأ إلى الحمل على قلّة استطاعته وحالته المرضية. والحاصل أنّ المظهر لا يعكس في كثير من الأحيان باطنه "حمّال أعمى متعثّر ضعيف ظاهرًا، قوي الشّخصية، رجل خلوق باطنًا".

إنّ قصائد ابن الرومي في جملتها لا تدع إلا أثرًا واحدًا في ذهن القارئ من هذه الوجهة، وهو أنه كان في ضنك وفاقة، كثير الحرمان، هذا ما جعله يرى بيعن ذاته "أنا" الآخر الممثل في هذا الحمّال أو ذاك الصّديق أو...

والصّورة الاجتماعية عيّنة لمجتمع عبوديّ غابت عنه أدنى قوانين العدالة الاجتماعية، كما تغيّبت عنه الرّوح الإنسانيّة، أو بالأحرى تجاهل مقاصد الإسلام لأنّنا في القرن الثّالث الهجري في بلاد الرّافدين.

فَعُذْتُ من أمْثال أحْـــوالِهِ باللّه والحُرِّ أبي سَـــــــعْدِ
السَّبِطِ الكفِّ الذي لم يزل مُسْتَمْطِرُوهُ في ثَرىً جـــعْدِ

الحمّال أثار شفقة الشّاعر إثارة استثنائيّة جعلت ابن الرومي يترصد أقرانه مستقصيا أحواله محقّقا وملتزمًا.

108.عباس محمود العقاد، ابن الرومي ، حياته من شعره، القاهرة ، ط1 ، 2013 ، ص114.

لم تتسخ يداه بالطلب أو مدّ اليدين أو قبضهما بخلًا، في حين أنّ الآخرين في ثراء فاحش يقابله بخل شحيح.

الصّادِقِ الوعْدِ على أنــه ما زال فعَّالًا بـــــلا وعْدِ
الوارِثِ السُّؤْدَد أسْـــلافُهُ ذي المجد من قَبْلٍ ومن بعْدِ
العاسِف المالَ لِسُـــــؤَّاله والسالك الرأيَ على القصْدِ
الدائم العهْدِ ولكـــــــنَّه يصْعد من عهْد إلى عـــهْدِ
مستبدِلاً عهْداً بما دُونــــه والعزْمُ منْهُ ثابتُ العَـــــقْدِ
المُبْرِقِ البشرَ الملِثِّ الجَدَا مُجانبًا قَعْقَعَةَ الـــــــــرعْدِ
يستكتم العُـــرفَ على أنه يُفشيه في غوْرٍ وفي نـــجدِ
من أجْحَدِ الناس لنعمى له تزداد إسْفاراً على الجَـــحْدِ

الحمّال إنسان اجتماعيّ متخلّق يحمل صفات عالية امتلكها كسبًا من أسلافه، صدقٌ ووعدٌ وسدادٌ ومجد والرّأيّ والوفاء، وصقلها عبر مسيرته الحياتية المليئة بالكرب الّتي عرف كيف يديرها، وكيف يحوّل مكانته إلى العمل الخلّاق ضاربًا عرض الحائط متاهات عصره وخزعبلات معاصريه، وحاملًا راية التّحدي والرّأي السّديد، وعاقدًا العزم على الثّبات بمبادئه وقيمه.

الصّفات بمدلولها الاجتماعيّ "الصّادق، الوارث،..." كشف بها ابن الرومي أن المقابل كاذب وخائن ومخلف الوعد...

مجتمع ابن الرومي مجتمع متأزّم سيّاسيًّا، ولمّا كان كذلك تأزّم أكثر بكثير اجتماعيًّا، وصار أكثر تأزّمًا حينما خدش الأخلاق والأخلاق العامّة، وهنا ظهرت مآثر الجاهليّة والعصبية القبليّة والطّبقيّة والعنصرية بين الأجناس.

ويتميز ابن الرومي عن غيره من الشعراء بخصائص فنية وجعلت منه فريداً في الخصائص الشعرية. «يُعَدُّ ابن الرومي من الشعراء الَّذين كان لهم إسهامهم في الفن الشعري في العصر العباسي وحري بمن يتحدث عن معالم الحداثة في الشعر العباسي أن يبحث عن الجديد المستحدث الَّذي أضاف هذا الشاعر المبدع ولست بصدد بيان ما أصاب الشاعر في حياته، وملازمة من سوء الطالع، فذلك ليس من الأمور الّتي تهتم بها هذه الدراسة وقد تكفل غير واحد من النقاد بالحديث عنده، وحسبي أن أشير إلى أنَّه تتلمذ على أبي تمام، كما تتلمذ البحتري، فكلاهما أفاد لا يعين الباحث على فهم فنه، بل قد يزيد عماية

على نحو ما سنرى من أقوال النقاد[109] والواضح يحدث تطور في المرحلة "العباسية" ظن بعض الدراسين أنه قام على يد ابن معتز وابن الرومي فتظهر مدرسة الصورة الشعرية الَّتي يقدم الشعر العربي من خلالها لوحات عديدة دقيقة الرسم بارعة الألوان بهيجة حيناً ولكنها في جملتها دفعت بالشعر إلى الأمام مثله ما يمكن أن يطلق عليه "مدرسة الصورة الشعرية"[110]

109. حسن درويش: الشعراء المحدثون، ص 232.

110. مصطفي الشكعة: الشعر والشعراء في العصر العباسي، ص 793.

خاتمة

أفضى بنا البحث إلى أن ظروف ابن الرومي ومكوناته النفسية والاجتماعية والفكرية والثقافية هيأته ليكون أحد كبار المجددين في الشعر العباسي، وقد كان شعره مرآة لحياته وعصره ارتسمت فيها الأحداث بجميع تناقضاتها وتنوعها، وكان صورة صادقة لروحه، المعذب الناقم، ولثقافته الثرة الخصبة المتنوعة، فقد دفعه إيمانه بالاعتزال، وكان للاعتزال الأثر الأكبر في تطور شعره وتجديده. وكان موقفه من الخلافة العباسية والمعارضة الممثلة في ثورة يحيى بن عمر وثورة الزنج مبنياً على تشيعه وعلى تكوينه النفسي ونزعته الحضارية. كذلك كان موقفه الاجتماعي ارتكاساً لوضعه الطبقي، وكان موقفاً واعياً يقوم على الانحياز إلى الطبقة المسحوقة، وهو موقف يكاد يكون متفرداً بين معاصريه من الشعراء.

كما استخلصنا من البحث أن ابن الرومي جدد في الموضوعات التقليدية، ففي المديح اتسمت قصيدته بالطول المفرط وعدم تقيدها بالمنهج التقليدي للقصيدة العربية، وبلغتها الخطابية، وحضور ذات الشاعر، كذلك جدد في معاني المديح وشحنها بطاقة جديدة فيها الكثير من روحه وثقافته.

واتسمت قصائده بالعقلانية والفنية. أما الهجاء فكان فيه سيد هذا الفن، وقد أدى الهجاء عنده وظائف سياسية واجتماعية ونفسية وفنية، واتسم بالشعبية والبذاءة المفرطة وروح السخرية، وكان أهم خصائص التطور والتجديد في هجائه المنطقية والفنية واستخدام الرموز الدينية والثقافية. واتصف الغزل عنده بالوصف الحرسي حيناً وبالوصف النفسي حيناً آخر، واتصف بالتذّلل والمازوشية، والنرجسية، ووصف حالات الحب، وقد جدد في معاني الغزل القديمة، وابتكر معاني جديدة، ووحد بين المرأة والطبيعة .أما في وصف الطبيعة فقد صور البعد النفسي لهامش خصاً إياها موحداً بينها وبين المرأة.

وزهده كان في معظمه تصويراً موضوعياً للزهاد، وقد يدخل فيه الغزل أيضاً. ووطد موضوعات جديدة، وهي موضوعات ظهرت في العصر العباسي، وقد ابتكر ابن الرومي عدداً منها كالمناظرات الشعرية التي كانت مظهراً من مظاهر إيمانه بالاعتزال، وتأثره جدلهم ومحاجاتهم العقلية، وفن رثاء المدن الذي كان تعبيراً عن موقف ابن الرومي الحضاري، والموضوعات الشعبية التي وصف فيها العامة وأحوالهم متفقاً مع موقفه الاجتماعي الرافض للاستغلال .غير أن أبرز موضوعاته الجديدة كان الهجاء الساخر الذي كان سلاحاً يدافع به عن نفسه، وكان منفاه القاسي الذي يستشعر فيه وحدته ووحشته.

وكان تجديده في الشكل بارزاً وحاسماً، إذ كان لقصيدة ابن الرومي خصوصية بنائية، فكان لها نظام جديد في المقدمات وتنظيم الأفكار وترتيبها، واتسم معظم قصائده بالوحدة العضوية، فقد كانت القصيدة عنده تنمي نماء سببياً داخلياً، كذلك اختلفت قصيدته عن غيرها من حيث طولها المسرف الذي لم يكن مألوفاً في الشعر العربي، فكثرت في ديوانه المطولات التي تتجاوز المئتين من الأبيات.

وظهرت خصوصية ابن الرومي في لغته الشعرية، فقد كان الشعر قبل ابن الرومي نتاجاً للعقل الجماعي، ومحاولة لاستعادة الماضي بلغته وأفكاره، أما عنده فقد غدا الشعر نتاجاً للذات التي تمثلت الماضي، ولكنها خرجت على قوانينه وثوابته، وهو في ذلك تلميذ لأبي تمام الذي مهد له الطريق، غير أن أبا تمام كان يصارع لغته ويتجشم تطويعها لأفكاره، أما ابن الرومي فهو أبعد الشعراء عن التكلف، لم تستعبده اللغة، وإنما انقادت له طواعية وامتزجت بأنفاسه ومشاعره، فحقق المعادلة الصعبة بين الفكر والتعبير، فاتسمت لغته بسمات لم يكن بعضها مألوفاً في الشعر العربي، وهذه السمات هي :المنطقية والتكرار والإسهاب والإطناب والسهولة والأسلوب الروائي والكتابية.

والقصيدة عند ابن الرومي ذات فعل ساحر، تتحدر أفكارها ومعانيها من سماء العقل والفكر، ولذلك يرى أن خير الشعر ما أنضجته الروية، وأن لغة الشعر هي توحد بين اللفظ والمعنى في الجمال، وأن للشعر أحوالاً مختلفة بحسب الموقف الشعري، فتارة يرق وتارة يكون جزلاً وخشناً .وللشعر عند ابن الرومي وظيفة في المجتمع، فهو يعري الحياة ويكشف الحقائق، ويرفع ويخفض، أي إنه يعيد خلق العالم وفق قوانينه.

وابن الرومي الذي عارك الحياة، وحمل فّنه راية لوجوده، وناضل ليحمي نفسه الممزقة من التلاشي في مجتمع تسوده شريعة المال والقوة، وهما وجها الظلم الأبديان، كان واعياً لوظيفة فّنه الشعري وعيه للفن نفسه، فقد كان منخرطاً في الحياة انخراطاً مؤثراً، وكان يكافح دوماً من أجل أن يحمي نفسه الضعيفة، ويقهر المجتمع من خلال تفوقه الشعري، وهو ما جعل وظائف شعره تتنوع، ولكنها بقيت أصداء وانعكاسات لما يقبع في أعماقه من تصورات وأحلام وطموحات، وقد بلغ في ذلك الغاية، ولكنه لم يكن ليتخّلى عن فنه في كل ذلك.

التزم ابن الرومي في شعره الاجتماعي الدفاع والتصدي لبعض الظواهر الخلقية والاجتماعية، فقد ذمّ الدهر الذي عمل على رفع الأراذل وإبقاء من يستحقون السمو والعلو

في الأسفل، من دون مراعاة للمقاييس الخلقية والاجتماعية والثقافية. مثّل البخل سمة ذميمة حاول ابن الرومي رصدها في شعره وبيان الخلل الذي يحدث في المجتمع بسببها.

قائمة المراجع

قائمة المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.**

الكتب:

1. ابن الأثير ، الكامل، ج 2 ، الكامل ج9 .
2. ابن الرّوميّ في التّراث النّقديّ والأدبيّ،إبراهيم عبد الله عبد الجواد، رسالة ماجستير.جامعة اليرموك 1985م
3. ابن الرومي: الديوان، شرح أ/ أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ - 1994م.
4. ابن رشق. العمدة ج1
5. ابن رشيق، أبو علي، الحسين بن رشيق، ت(456هـ) ،العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده، حققّه وفصّله وعلّق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد ، ط2،2ج، مطبعة السعادة مصر، 1964 .
6. الإمام أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، الكامل، تحقيق :محمد احمد الدالي، مؤسسة الرسالة ج 2 .
7. اميل كبا، ابن الرومي أو القصيدة المجنونة، الطبعة رقم 1، الناشر مكتبة سمير.
8. إميل ناصيف، من أروع ما قال ابن الرومي، الطبعة رقم 1، الناشر دار الجيل.
9. الباقلاني. إعجاز القرآن الكريم .
10. البستاني، بطرس: أدباء العرب، ج3.
11. البيهقي، تتمة صوان الحكمة ص17-19 /لاهور/ ط1 (1351هـ).
12. جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ، ج 5 .
13. جنيدي، عاصم: ابن الرومي(طائر غرّد خارج سربه).
14. جورج معتوق، ابن الرومي، سنة النشر 1984، الطبعة رقم 2، الناشر الشركة العالمية للكتاب.
15. الحر عبد المجيد : ابن الرومي ،حياته، نفسيته، فنه من خلال شعره، الطبعة الأولى.
16. حسن، د. حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام 339/3.
17. حصري قيرواني، أبو إسحاق : زهر الآداب وثمر الألباب، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب

العربية، بدون تاريخ الطبع.
18. خليل شرف الدين ابن الرومي، ، الطبعة رقم 1، الناشر دار ومكتبة الهلال.
19. ديوان ابن الرومي 2002م، ج3.
20. ديوان ابن الرومي، تحقيق عبد الأمير مهنا، عدد الأجزاء 6، سنة النشر 2001، الطبعة رقم 1، الناشر دار ومكتبة الهلال.
21. ديوان ابن الرومي، تحقيق عمر فاروق الطباع، عدد الأجزاء 3، سنة النشر 2001، الطبعة رقم1، الناشر دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع.
22.ركان الصدفي، ابن الرومي الشاعر المجدد، مطابع وزارة الثقافة الهيئة السورية للكتاب ط1.
23.السامر، د. فيصل: الدولة الحمدانية .
24.شوقي ضيف – تاريخ الأدب العربي ـ العصر العباسي الثاني ـ دار المعارف ط2.
25.شوقي ضيف: الفن ومذاهبة في الشعر العربي.
26. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك: الوافي بالوفيات، ج11.
27. عباس محمود العقاد، ابن الرومي – حياته من شعره ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة السادسة ،1967 .
28. عباس محمود العقاد، ابن الرومي، الطبعة رقم 1، الناشر المكتبة العصرية -الدار النموذجية
29.عبد الغني حسن محمد: نوابغ الفكر العربي، ابن الرومي.
30. علي شلق، ابن الرومي في الصورة والوجود، دار النشر للجامعيين، الطبقة الأولى 1960
31. فوزي عطوي، ابن الرومي شاعر الغربة النفسية، الطبعة رقم 1، الناشر دار الفكر العربي.
32. كامل كيلاني، ديوان ابن الرومي.
33. كمال أبو مصلح، ابن الرومي، عدد الأجزاء 1، سنة النشر 1995، الطبعة رقم 1، الناشر المكتبة الحديثة للطباعة والنشر.
34. محمد حمود، ابن الرومي، عدد الأجزاء 1، سنة النشر 1994، الطبعة رقم 1، الناشر دار الفكر اللبناني.

35. محمد سمير كبريت: روائع الشعر العربي (ابن الرومي)
36.محمد حسين، الهجاء والهجاؤون في الجاهلية ، مكتبة الآداب، الجماميز، 1947 .
37. محمد، سراج الدين، الهجاء في الشعر العربي، دار الراتب الجامعيّة، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.
38. مُنيْمِنَه، حسن: تاريخ الدولة البويهية .
39. نازك سابا يارد، كل ما قاله ابن الرومي في الهجاء، سنة النشر 1988، الطبعة رقم 1، الناشر دار الساقي للطباعة والنشر.
40. اليتيمة ج1/115-119.
41. يحيى شامي، نوادر ابن الرومي، الطبعة رقم 1، الناشر دار الفكر العربي.
42. يونس السامرائي، سامراء في أدب القرن الثالث الهجري، مطبعة الإرشاد ، بغداد 1968

موسوعات:

1. الموسوعة الشعرية نسخة الإمارات، ديوان البحتري www.cultural.ae .

فـــهـــــرس

فهـرس

العنـــوان **الصفحة**

- دعـــــاء
- الاهــداء
- كلمة شكر
- مقدمـــــة.....(أ)

*** مدخل : ابن الرّوميّ وعصره**.....(2)

- المبحث الأول : ابن الرّوميّ سيرة وفنّ.....(3)
  - المطلب الأول : ابن الرّوميّ وأصوله .....(3)
  - المطلب الثاني : ميلاده ونشأته.....(4)
  - المطلب الثالث : مسيرة حياته .....(5)
  - المطلب الرابع: ديوانه (إحصاء) .....(14)
- المبحث الثاني : عصر ابن الرومي .....(15)
  - المطلب الأول : الحياة السّيّاسيّة .....(15)
  - المطلب الثاني : الحياة الاجتماعيّة .....(17)
  - المطلب الثالث : الحياة الفكريّة .....(19)

*** الفصل الأوّل: الشّعر والنّزعة الاجتماعيّة في ديوان ابن الرّوميّ**

- المبحث الأوّل : الصّيّاغة الشّعريّة عند ابن الرّوميّ.....(24)
  - المطلب الأول : الشّعر .....(24)
  - المطلب الثّاني : مفهوم الشعر عند النقاد العرب القدماء.....(25)
  - المطلب الثّالث: الإبداع الشّعريّ ووظيفته.....(25)
  - المطلب الرّابع : تركيبة شعر ابن الرومي معنًى وشكلًا.....(28)
- المبحث الثّاني : النّزعة الاجتماعيّة وابن الرّوميّ.....(31)
  - المطلب الأول : النّزعة الاجتماعيّة.....(31)
  - المطلب الثاني : النّزعة الاجتماعيّة عند ابن الرّوميّ.....(34)
- المبحث الثّالث : الأغراض الشّعريّة عند ابن الرّوميّ.....(35)
  - المطلب الأول : الحياة الاجتماعيّة والأغراض.....(35)
  - المطلب الثاني : الوصف والمدح.....(39)

- المطلب الثّالث : الهجاء والعتاب.....(46)
- المطلب الرّابع : الرّثاء.....(52)
- المطلب الخامس : الغزل.....(54)

*** الفصل الثّاني: المجتمع العبّاسيّ برؤى ابن الرّوميّ**

- المبحث: النّزعة الاجتماعيّة عند ابن الرّوميّ.....(59)
- المطلب الأول : الطّبقية.....(59)
- المطلب الثاني : تحليل قصيدة "الحمّال".....(61)
- خاتمة :.....(70)
- قائمة المصادر و المراجع.....(74)
- الفهرس.....(77)